21 متر مربع

رواية

سَجِيَّةُ الشَّرّ

بَدر رمضان

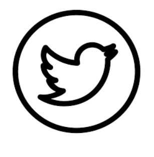
الكتـــــــاب: ٢١ متر مربع: سجية الشر
اسم المؤلفـــة: بدر رمضان
تصميم الغـلاف: ريهام البلتاجي
التدقيق اللغوي: عيد إبراهيم عبدالله
الطبعـــــة: أبريل 2021
رقــم الإيـــداع: 2021 / 7194
الترقيـم الدولـي: 3 - 377 - 779 - 977 - 978
الموقـــــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله
dreidibrahim@gmail.com

للتواصل بخصوص النشر:
info@ibda3eg.com
publishing@ibda3eg.com
للتواصل بخصوص المبيعات
00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البـــــلد، القاهــــرة
هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173
البريد الإلكتروني: info@ibda3eg.com





dar__ibda3 ibda3-tp dar__ibda3

21 متر مربع

رواية

سَجِيَّةُ الشَّرّ

بَدر رمضان



إهداء..

إلى كل المحاربات اللواتي تعرضن للانتهاك الجسدي، وتكمَّمت أفواههن لأجل العادات..

إلى كل المحاربين الذين عانوا آلام السحر، وماتوا بسببها، وتركوا الدنيا بكل ما فيها من شرور..

إلى "هبة" جارتي العزيزة التي تُوفيت في ريعان شبابها، بسبب السحر..

إلى " أحمد صلاح " الذي وصلتني حكايته على موقع التواصل كي أخبركم بها بعدما كان السحر سببًا في مرضه وموته..

"جعل الله مثواكم الجنة على صبركم، وتحملكم آلامًا لا توصف"

أدعوا الله لكم ولكل مظلوم؛ باتت روحه معذبة؛ بمأوًى يليق بكم..

تحذير وإبراء ذمة

الناشر لا ينصح بهذه الرواية لذوي القلوب الضعيفة، ولا لذوي النفوس المريضة

المقدمة

شعرت بهواءٍ حارٍّ استقبلته بشرة وجهها الخمرية الناعمة لتستيقظ على الفور، اقترب هذا الهواء من انفاسها المتلاحقة، فلم تجرؤ أن تفتح عينيها لتراه مرة أخرى!

كانت التجربة السابقة مُخيفة للغاية؛ حين أوشكت على الإصابة بأزمة قلبية، لولا لحاق ابنتها بها في آخر لحظة، هي حقًا لا تريد أن ترى هذه القطة المرعبة..

ظلت على حالها دقائق كانت كفيلة بحبس أنفاسها؛ بينما قلبها يهدر بقوة حتى أنها تسمع نبضاته المزعجة بأذنيها، تجمعت قطرات العرق على جبهتها بكثرة، وكأنها تحتضر، شعرت بهذه الأنفاس الكريهة تبتعد عنها رويدًا؛ فبدأت بأخذ أريجها ببطءٍ دون أن تفتح عينيها؛ حتى سمعت آذان الفجر يتسلل من نافذتها ليصدح عاليًا.

شهقت بقوة؛ وكأنها تعود من الموت، وفتحت عينيها لتنتفض جالسة برعب، تساقطت قطرات عرقها وهي تتلاحق مع دموعها الغزيرة، فلقد استمر هذا الكائن الليلة مدة كبيرة وكأنها دهر!

جففت دموعها بظهر يدها، وقامت وهي تردد الشهادتين بشهيق

وزفير متقطع، وكأنها تتأكد من أن صوتها موجود ولم تفقده للأبد، بحثت عن حذائها المطاطي بقدميها التي مازالت ترتعد حتى وجدته، انتعلته سريعًا وخرجت من الغرفة مهرولة نحو دورة المياه لتتوضأ وتصلي فرضها، وقفت أمام باب المرحاض مترددة؛ لتتحرك تجاه باب الغرفة الملاصقة له...

ظلت حائرة لثوانٍ أن تفتح باب غرفة زوجها المريض لترى ابنتها التي تستلم المناوبة الليلة بدلًا عنها في رعايته، وبين أن تعود للحمام.

وضعت أذنيها على الباب الخشبي، فلم تسمع آنات زوجها المعتادة، فضمت حاجبيها بتعجب، وقبل أن تفتح الباب نظرت عبر المرآة أمامها فرأت وجهها الأصفر وعينيها المنتفخة؛ فخشت من رؤية ابنتها لها على هذه الحال؛ فابنتها الغالية لن تتحمل رؤيتها هي الأخرى وعلى وجهها علامات المرض، فقررت أن تصلي أولًا، ثم تذهب إليها لتتفقدها، وتتسلم ورديتها الصباحية في مراعاته.

انتهت من صلاتها ودعائها لزوجها بالشفاء العاجل، ثم قامت تخطو نحو غرفته لتقابلها رائحة مُقززة فاحت من الغرفة، كادت أن تتقيأ منها، ولكنها تحاملت على نفسها فهم قد بدأوا الاعتياد على هذه الروائح منذ مرضه.

انقبض قلبها حين اقتربت أمام باب الغرفة من الهدوء غير المألوف لديها، فمنذ أن أصابه ما اصابه، وهو يصرخ ليلًا نهارًا، ولا يتوقف

ألمه سوى عدة دقائق حين تُتعبه حنجرته من النحيب.

دلفت للداخل في عُجالة لتتسمر أمام باب الحجرة بقدمين متصلبتين ونفسٍ مُحشرج؛ ليخرج صوت صرختها الحادة العالية أخيرًا، بعدما جاهدت بأقصى ما تملك من قوةٍ لإخراجها، لتسقط بعدها مغشيًا عليها!

انتفضت ابنتها مفزوعة من نومها فقد غفت قليلًا حتى تستيقظ والدتها، نظرت نحو زوج أمها جاحظة العينين من مظهره، ممددًا على ظهره، لسانه متدلٍّ لأسفل، وعيناه مثبتتان نحو سقف الغرفة، لتسقط عينيها ببطء على جسده وهي ترتعد، فوجدت بطنه مفتوحة من أعلى لأسفل وأحشائه تنحدر منها! ليخرج عويلها بشكل متكرر وهي تلطم وجهها حتى تجمع الجيران ليجروها من كلتا يديها للخارج. لم تشعر بالضجيج حولها، بعدما فقدت قوتها من كثرة النواح لتقع أرضًا بجوار أمها...

*****

"فبراير - ٢٠٢١"

دخل "مُنصف" مكتبه بخطوات ثقيلة، وعلى وجهه يرتسم امتعاضًا غير مألوف، هو مُعتاد على رؤية جثث هكذا من قبل، ولكن هذا البيت به شيء مُقبض للأنفاس، لم يستطع المكوث فيه أكثر من خمس عشرة دقيقة، أخذ فيهم الجثة للتحليل الجنائي والسيدتين المقيمتين معه، يصحبهم مجموعة من الجيران الشهداء على الواقعة.

زفر بضيق فما زال صدره مختنقًا من الرائحة الكريهة التي تأبى مغادرة أنفه منذ غادر منزلهم، ضغط زرًّا بارزًا أسفل يده اليمين ليدخل العسكري "عبد المجيد" الذي أتى للخدمة في هذا القسم منذ يومين فقط رافعًا كفة بتحية عسكرية هاتفًا:

-أمرك يا افندم!

نظر له منصف بدهشة قائلًا:

-انت بتزعق كدا ليه يا ابني!

دبَّ العسكري قدمه بالأرض، وما زال كف يده أوسط رأسه بنفس التحية:

-أؤمرني يا أفندم!

خبط منصف كفيه ببعضهما البعض بملامح مُجعدة من صوت الشاب

المزعج لينظر نحوه مرددًا:

-بطل يا حبيبي الهبل اللي بتعمله دا! أنت هنا في قسم مش في تشريفة عسكرية.

ثم أشار له بيده:

-اتفضل روح "لحافظ" قوله يجيبلي قهوة دُبل.

انتفض عبد المجيد قائلًا:

-أمرك يا افندم!

رفع كفيه بحنق ليقول بصوت غاضب:

-لا إله إلا الله.. اصل أنا ناقص!

التفت بوجهه لكاتب النيابة الذي يجلس بجواره قائلًا:

-افتح يا ابني المحضر في ساعته وتاريخه..

لُيكمل بصوت خفيض:

- هو يوم باين من أوله..

بعد قليل دخل حافظ يحمل بيده صينية معدنية عليها قهوته وكوبًا كبيرًا من الماء..

وضعهم على مكتبه وهو يقول:

-كنت مجهزهالك من ساعة ما جيت..

ابتسم له منصف محييًا إياه:

-صباحك فل يا عم حافظ!

بادله الرجل ابتسامة مُمتنة وهو يعود للخلف قائلًا:
-صباحك رضا يا مُنصف باشا.. تؤمرني بحاجة تانية يا باشا
اعتدل منصف فوق مقعده وهو يأمره:
-خلى العسكري اللي بره يدخل الراجل اللي اتصل بينا وسيبوا مراته وبنتها بره..
أشار للكاتب بجواره ليُملي عليه:
إنه في ساعته وتاريخه ورد إلينا نحن ضابط المباحث: منصف عبدالجواد منصف، مكالمة من الحاج لطفي السيد، وأعطى بطاقته للكاتب ليكتب الاسم كاملا، ووجّه حديثه للرجل الستيني الواقف أمامه بارتباك واضح:
-اسمك الرباعي يا حاج!.
-لطفي السيد عبد المُعطي عدنان.. يا باشا!
ضم الرجل كفيه بعضها البعض أمام صدره وجسده يهتز بخوف واضح، بينما يتكئ منصف على طرف كرسيه، وهو يحتسي قهوته موجهًا سؤاله الثاني:
-تقرب إيه للمجني عليه!
هز الرجل رأسه بعنف:
-مش قريبي يا باشا! دا جارنا الأستاذ سيد وعشرة عمر
أكمل منصف ارتشاف قهوته وهو يقول له:

-قولي يا حاج لطفي تعرف إيه عن سيد وأهله..

أجابه الرجل بوضوح:

-أستاذ سيد ساكن جارنا بقاله ١٥ سنة كان متجوز ست مجيدة الله يرحمها ومخلفش منها عيال وبعد ما ماتت بكام سنه اتجوز ست راضية وجت عاشت معنا هي وبنتها من حوالي ٣ سنين تقريبًا،

أنهى منصف فنجانه ليشير له أن يُكمل:

فارتبك الرجل قليلًا قبل أن يقول:

-أستاذ سيد كان راجل طيب يا باشا ودوغري وعلاقته بالكل كويسة جدًا ومراته ست أصيلة وبنت ناس محترمين ومبسوطين، من ساعة ما أستاذ سيد تعب فجأة، وهي وبنتها تحت رجله..

حك ذقنه بطرف يديه قائلًا:

-كنت فين وقت الحادثة يا عم لطفي!

أجابه الرجل سريعًا:

-كنت في الجامع يابيه بصلي الفجر يادوب خلصت الصلاة وروحت افتح المحل اللي تحت العمارة يا باشا ما هو بتاعي لقيت صويت جاي من فوق طلعت جري لأني عارف ان استاذ سيد مريض وكان لمؤاخذه خلصان خالص كلنا كنا متوقعين انه هيموت في أي وقت، بس بصراحه مش عارف مين ابن حرام عمل فيه كدا وليه..

-فيه عندك كلام تاني عايز تقوله يا عم لطفي؟

-لا يا باشا!

وقف مُنصف يفتح النافذة من خلفه، وهو يقول له:

-امضي على أقولك يا عم لطفي، واتفضل روح بيتك.. معلش تعبناك معنا..

ردد الرجل بسعادة وهو يوقع على أقواله بعدما انتهى أخيرًا من هذا التوتر:

-أنا تحت امرك يا باشا.. وربنا يجازي ولاد الحرام ويقدركم عليهم.

استنشق منصف بعضًا من الهواء النقي عبر نافذته، ثم نظر لأعلى الشجرة التي أمامه ليلفت نظرة قطة سوداء كبيرة تحدق به، ظل ينظر نحوها عدة ثوانٍ، ثم عاد ليجلس مرة أخرى ليُكمل التحقيق..

نادى العسكري بالخارج ليقوم بإدخال باقي الجيران دُفعة واحده لينتهي بعد قليل بنفس الأقوال..

دخل حافظ ليأخذ فنجان القهوة الفارغ، ليطلب منه منصف فنجانًا آخر وهو يرن الجرس ليأتيه عبد المجيد مُسرعًا بتحيته العسكرية التي تُصيبه بالهياج ليزعق به ثانية:

-يا ابني قولتلك بطل بقى الهبل دا صدعتني.. دخّلي زوجة المجني عليه لوحدها وسيب بنتها بره.

دخلت "راضية" بقدمين ترتعشان، وجسد يهتز بغرابة يليها شهقات متتالية لا تتوقف جعلت منصف يدعوها للجلوس قيد التحقيق.

وبنظرة سريعة قام بتقييمها، سيدة في أوائل الأربعينات، تهتم بمظهرها بشكل جيد، وجهها مازال يتمتع بجمال كبير، تحافظ على رشاقتها ويبدوا على بكائها الصامت مدى رُقيها، وبصوت هادئ سألها:

-تشربي حاجة يا مدام؟

تنحنحت برقة لتُخرج صوتها الناعم:

-ممكن ميه إذا سمحت؟

استدعى عبد المجيد ليأتيه على الفور أشار له وعيناه ما زالت على راضية يتفحص ردة فعلها بدقة:

-هات ميه يا ابني وعصير ليمون؟

أخرجت محرمة من حقيبتها الصغيرة ووضعت التي استهلكتها في جزء خارجي من الحقيبة، وجففت دموعها بالمحرمة ليسألها منصف:

-الاسم بالكامل؟

-راضية أحمد منصور.

وقبل أن يسألها عن سنها أجابت:

-٤٣ سنة

كما توقع تمامًا فهو لم يخطئ من قبل تخمين كهذا.

وصل الساعي بالمياه وكوب عصير الليمون، أشار له أن يضعه أمام السيدة راضية، شكرته بصوت هزيل، ثم شربت الماء ببطء ووضعت

الكوب موضعه لتعتدل في جلستها تشبك أصابعها ببعض في اضطراب واضح، ليسألها منصف:

-احكيلي إيه اللي حصل يا مدام راضية!

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم أجابت:

-قمت على أذان الفجر روحت صليت، وأنا راحه الحمام استغربت إني مش سامعة صوت سيد..

أوقفها منصف:

-صوته ازاي مش فاهم؟!

جففت دموعها بطرف المحرمة وهي تقول:

-سيد من وقت ما تعب وهو ليل نهار يا حبيبي بيصرخ من الألم فاستغربت أنه ساكت وهادي..

ضيق عينيه وعاد للخلف يستند بظهر على مقعده:

-هو كان عنده إيه؟!

هزت رأسها بأسف:

-من أقل من سنة واحدة بس كان زي الفل، فجأة اشتكى من ضهره عملنا إشاعات وتحاليل مالقناش فيها أي حاجه الدكاترة كانوا هيتجننوا وبعدين حالته المرضية اتطورت بشكل سريع خلتنا كلنا عاجزين عن مساعدته، وزنه بقى ٤٥ كيلو وحصله فشل في الكلية الشمال وشلل نصفي ومن أسبوعين بس جاله شلل كلي.

اعتدل متقدمًا يستند على مكتبه وهو يخرج سيجارة من درج مكتبه ليشعلها وهو يتساءل:

-وتشخيص الأطباء؟ يعني قالولك إيه اللي حصله!

رفعت كلتا كتفيها بعجز:

-لحد من يومين الدكتور وصف لنا مسكن قوي اعتقد أنه مُخدر لأننا مكناش بنعرف نجيبه غير من المستشفى الخاصة بالحكومة، وقالي إنه محدش عارف اللي حصله دا من ايه!

أطفأ سيجارته في المطفأة الزجاجية القاطنة على مكتبه وهو يسألها:

-كملي يا مدام راضية اللي حصل امبارح!

وضعت منديلها الذي امتلأ بدموعها في الحقيبة وأخذت آخر وهي تخبره:

-صليت الفجر ودخلت أقعد معاه بدل جيلان، وهي تدخل تنام لان احنا بنبدل مع بعض هي بتقعد معاه ليله وأنا ليله.

هز رأسه بإنصات فأكملت:

-فتحت الباب..

توقفت وقد انهارت بالبكاء ثانية فأشار منصف إلى كوب عصير الليمون وقال لها:

-اشربي يا مدام راضية وهدي نفسك!

حاولت أن تتحدث من بين شهقتها فأوقفها:

-براحتك خالص احنا مش مستعجلين اشربي بس الأول!

أخذت الكوب وارتشفت منه بعض رشفات قليلة كان كفيلة بدخول الهواء لرئتيها بعدما اختنقت من البكاء. شعرت بقليل من الراحة لتُكمل:

-لقيت جيلان نايمه على الكنبة اللي جنب سريره وهدومها عليها دم كتير وهو.. وهو.. زي ما شفتوه..

هز منصف رأسه:

-مفهوم يا مدام!

جففت دموعها واخرجت منديلا رابعا وهي تقول:

-ما حسيتش بنفسي إلا ومدام رباب بتفوقني.

أشعل سيجارة أخرى، وضغط الجرس بجواره ليطلب فنجان ثالث من القهوة مُمهلًا إياها بضع دقائق تتنفس بهم، ليُكمل تحقيقه:

-طب ما سمعتيش أي حاجه وأنتي نايمة؟!

هزت رأسها نفيًا:

-لاء خالص، بالعكس أكتر ليلة هاديه شوفناها من ساعة ما ربنا ابتلاه، الليلة الوحيدة اللي نمت فيها ساعتين على بعض لحد قبل الفجر بشوية..

صممت قليلًا وهي تتذكر ما حدث معها لتُكمل وعلامات التوتر جلية على وجهها:

-قلقت بس ما قومتش إلا مع الأذان..

دخل حافظ بقهوته ليأخذها منه وهو يسألها:

-طب مش شاكه في أي حد خالص ممكن يكون عمل كدا؟!

حركت رأسها يمينًا ويسارًا بثقة بالغة:

-سيد طول عمر الناس كلها بتحبه وهو مالوش غيرنا أنا وجيلان.

احتسى من قهوته قليلًا وهو يحدثها:

-هو مش والد جيلان.. مش كدا؟

أجابته:

-لاء أنا اتجوزته وهي مكملتش ١٨ سنه بس هو بيعاملها زي بنته بالظبط..

-وهي؟!

ضمت حاجباها بتعجب، وأجابته وهي تنظر نحوه بعينين حمراوتين:

-جيلان برده بتعتبره ابوها لأن والدها سابنا من وهي ١٠ سنين وسافر ومن قبلها وهو كان بيسافر على طول يعني جيلان ما تعروفش يمكن شافته مرات معدودة، وجالنا خبر وفاته بعد ما انفصلنا ب ٥ سنين وفي الفترة دي بابا جيلان مكنش بيشوفها خالص وبعدها بسنتين وشوية اتجوزت سيد الله يرحمه فهي ما تعرفش أب غيره.

أطفأ سيجارته وترك فنجان القهوة ليعتدل في مجلسه قائلًا:

-امضي على أقوالك يا مدام راضية.. تقدري تتفضلي!

فعلت ما أمرها به، وخطت خارجًا بحيرة لا تعرف ماذا ستفعل في هذه الورطة، هي تريد حضور التحقيق مع ابنتها لأنها تعلم جيدًا مدى براءتها، فطفلتها لن تستطيع تحمل هذا الضغط، كم تمنت أن تكون هذه الليلة المشئومة هي ليلتها.

خرجت تنظر لابنتها بحزن بالغ لتحتضنها برقة، بينما الأخرى شاخصة أبصارها، وكأنها لا تشعر بما يحدث حولها، فهمست راضية في أذنها:

-ما تخافيش يا حبيبة ماما هو هيسألك كام سؤال وهنروح سوا. سمعاني اجمدي كدا

أومأت جيلان برأسها، ليتقدمها عبد المجيد نحو غرفة منصف وهو ينظر نحوها بتقزز دون سبب واضح.

دلفت للداخل ليستقبلها مُنصف بلطف شديد، رغم شعوره بشيء غير مألوف وانقباض قلبه من رؤيتها بالإضافة إلى رائحتها الكريهة التي من الواضح أن لا أحد يشُمها غيره.

وكعادته تفحصها بعينيه، شابة في العشرينات من عمرها، تُشبه والدتها كثيرًا، بشرتها خمرية تُطلق شعرها الأسود ذا الخصلات المُجعدة الكثيفة يتدلى خلف ظهرها، ذات جسد هزيل، ولكنها تتمتع بجاذبية تفوق والدتها بكثير، ومن الواضح أيضًا أنها تُعاني خطبًا ما.

هل بسبب ما عاشته خلال الساعات القليلة الماضية أم بسبب آخر

غير معروف، ولكن ما هو واضح جليًّا أن هذه الفتاة لم تحزن ولو لحظة واحدة على موت زوج أمها!

-تعالي يا جيلان اتفضلي اقعدي!

جلست بجمود تام وعيناها مثبتتان على الحائط أمامها باتساع مُلفت للنظر.

طلب منها أن تُدلي بما تعرفه فأجابت باقتضاب:

-اسمي جيلان سعد الدين ٢١ سنة.

ضيق منصف عينيه وهو يقترب بجسده من المكتب بحركة سريعة كي يجفلها، ولكنها لم تتحرك قيد أنملة وكأنها لا تراه ولا حتى تشعر به، ثم سألها بصوت منخفض قليلًا:

-إيه اللي حصل يا جيلان..

لم تُجبه.. ليعيد عليها السؤال بطريقة أخرى:

-محستيش بأي حركة في الأوضه ازاي ومامتك بتقول أن باباكِ كان بيصرخ طول الوقت.. أوقفته بصوت مرتفع دون أن ترمش عينيها للحظة:

-أنا بابايا ميت!

وقف يترك مقعده ثم التف حول المكتب ليجلس على المقعد أمامها قائلًا:

-بس مامتك قالت أنك ما تعرفيش أب غيره وهو اللي مربيكِ.

لم تُعلق على حديثه وظلت كما هي، تُحدق في الحائط وعيناها لا تحيدان عما تنظر إليه! بينما جسدها مشدود للأعلى بشكل ملحوظ، قرر أن يخبرها الحقيقة المؤلمة:

-تعرفي إني مضطر اتهمك أنتِ بالقتل!

لفت انتباهها فنظرت إليه بجحوظ عينين، فجعلته يهتز لبرهة بخوف غير مُبرر لم يشعر به قط من قبل، ثم أكمل بثبات واضح:

-زي ما سمعتي، هدومك غرقانه دم القتيل، وأنتي الوحيدة اللي كنتي معاه في الأوضة وقت ارتكاب الجريمة بالإضافة إلى إن أداة الجريمة سلاح أبيض والمريض عنده شلل كلي يعني مستحيل يكون اتحرك انتحر مثلًا ولو اللي قتله حد غيرك كل اللي يقدر يعمله انه هيصرخ وطبعا كنتي هتسمعيه، يعني القضية لبساكي لبساكي.. لو ما اتكلمتيش وقولتي اللي حصل..

ولكن في خلال كلامه، أعادت عينيها كما كانت، ثم رأت القطة السوداء تنظر نحوها، تهلل وجهها ثم عادت تُحدق في الحائط دون أن تنطق بحرف آخر.

تحرك ليجلس خلف مكتبه ثانية، وهو يحثها على الحديث:

-اتكلمي يا جيلان قوليلي اللي حصل.. إنتي اللي قتلتيه!

لم يصدر منها حتى أنفاسها! ظلت على صمتها ليحاول معها دون جدوى حتى اضطر لغلق التحقيق إلى أن يأتيه تقرير الطبيب الشرعي

بفحص البصمات على سلاح الجريمة.

نظر للكاتب قائلًا:

-اقفل يا بني المحضر، في ساعته وتاريخه، قررنا نحن ضابط المباحث" منصف عبدالجواد منصف حبس المتهمة جيلان ٤ أيام على ذمة التحقيق..

ثم ضغط الجرس بجواره ففتح عبد المجيد الباب بحذر، تعجب منصف قليلًا من ردة فعله الغريبة، فهو منذ الصباح يدخل بتحيته المزعجة ما الذي حدث له!

لم يهتم كثيرًا ليأمره:

-خد المتهمة على الحجز!

تقدم عبد المجيد ليضع في يدها الأصفاد بخوف ظاهر على وجهه وبدنه، تلاقت عيناه بجيلان التي ابتسمت له ابتسامة جعلته يرتجف وهي توالي ظهرها لمنصف الذي مازال يقنعها:

-صدقيني يا جيلان ما حدش هيساعدك غيري، يا تعترفي يا تقولي مين اللي عمل فيه كدا.

شك للحظات أنها لا تسمعه نهائيًا من شدة ثبات جسدها وانفعالاتها التي لم يراها من قبل على متهم في قضية كهذه!

بدأت تهمس بعض همسات خفية لا يسمعها سوى عبد المجيد الذي بدأ يرتجف، وهو يحدق بعين الفتاة لينتبه له مُنصف مصادفة فوقف

ليخطوا نحوهما بدهشة فلم يجد أي شيء فسأل بحيرة:

-في حاجة يا عبد المجيد!

نطق الشاب وهو يهز رأسه بعنف:

-ما فيش حاجة يا افندم!

عاد لمكتبه قائلًا:

-طب خدها على الحجز!

جرها عبد المجيد خلفه وخرج من باب المكتب يغلقه من خلفه، فسمع منصف صياح الأم لابنتها، ومحاولتها اقتحام مكتبه إلا أن العساكر منعوها من الدخول، ليصله صوت صراخها من الخارج:

-بنتي ما عملتش حاجه، انتوا ازاي تتهموها بحاجة زي دي..

يا جيلان، هاتولي بنتي يا ظَلَمَه...

صوتها بدأ بالابتعاد حتى اختفى..

وقف أمام نافذته ثانية تأخذه عيناه أعلى الشجرة ليجد القطة السوداء ما زالت على وقفتها تتطلع نحوه بغرابة، ليُغلق النافذة بضيق تاركًا المكتب بأكمله بخطوات واسعة خارج القسم من بابٍ خلفي حتى لا يقابل أهل الفتاة، استقل سيارته من جراج القسم وانطلق نحوها فهو كلما شعر بهذا الغرابة والضيق من حوله لا يلجأ سوى لها...

*****

دخلت الزنزانة بخطى ثابتة لا تنظر لأحد من المحتجزين متجاهلة الذين قاموا بفحصها من شعرها المجعد اللامع المُلفت للنظر بجماله مرورًا بجسدها الممشوق رغم نحافته لأخمص قدميها.

جلست في أقرب مكان فارغ أمامها لتتهادى سيدة في الثلاثينات من عمرها تلبس ملابس تكشف أكثر مما تستر لتزيح من كانت تجلس بجوار جيلان، تستند على الحائط من خلفها وتغط في النوم، لتقع أرضًا من دفع "سُوزي" لها لتزعق بها بصوت ناعس وهي تتثاءب:

-ما تقوليلي أقوم يا سوسن ليه التكديرة دي!

ظلت سوسن تلوك العلكة بفمها، وهي تصنع بها فقاعات كبيرة تفرقعها بضحكة صاخبة وهي تجيب الفتاة التي من الواضح على ملابسها أنها تعمل في التسول:

-انجري يا بت من هنا، خليني أشوف السنيوره جايه ليه!

جلست الفتاة أرضًا لتُكمل نومها على قدم أحدهم وهي تلوح لها بيدها دون اهتمام، بينما تجلس جيلان كما هي دون أن تتحرك أو حتى تنظر نحو سوسن التي لكزتها في كتفها متسائلة:

-اسمك إيه يا عسل وإيه اللي حدفك علينا!

ثم أمسكت قميصها الوردي الذي ينتمي لأحد الماركات العالمية قائلة:

-لبسك حلو وشكله غالي!

لتتحسس خصلات شعرها:

-وشكلك كمان بنت ناس..

وقبل أن تسحب يدها أمسكت جيلان كفها بقوة تأوهت لها سوسن دون أن تنبس ببنت شفه خوفًا من أن يسمعها من في الزنزانة فيستهينون بها وهي الرئيسة عليهم.

التفتت لها جيلان ببطء تنظر لعمق عينيها وهي تنطق حروفها ببطء جعل سوسن تبتلع ريقها بصعوبة:

-ما تلمسنيش يا زوبه عشان ما أخلكيش عبرة للي هنا..

انهت جملتها بغمزة ثم تركت كفها وأسندت رأسها على الحائط من خلفها ثم أغمضت عينيها.

لتنزع سوسن العلكة التي بفمها رامية إياها على الأرض وهي تدلك معصمها بألم لتسألها بتوتر وبصوت خفيض:

-إنتي عرفتي زوبه دي منين؟!

لم تُجبها جيلان لتقترب منها سوسن أكثر وهي تحدثها بقلق ظهر جليًا على صوتها جعل جيلان تبتسم بخفة وهي تستمع لها:

-قوليلي عرفتي اسمي منين، ولكِ الأمان وكل اللي تحتاجيه لحد ما تخرجي من هنا..

أجابتها جيلان وهي مازالت مغمضة العينين:

-كل اللي احتاجه؟!

قالت سوسن بحماس وهي تُمسك خصلات شعرها:

-وحيات دا ميبقاش على واحدة ست لو ما نفذتش كلامي.

فتحت جيلان عينيها واقتربت منها لتهمس ببضع كلمات في أذنها جعلتها تضرب صدرها شاهقة حتى لفتت انتباه من في الزنزانة لتقول أحدهم:

-مالك يا ست سوسن بتشهقي كدا ليه!

لوحت لها بيدها أن تصمت حتى تنهي جيلان همسها، ثم وضعت كفها على فمها بصدمة حتى فرغت جيلان من حديثها وعادت تريح رأسها على الحائط مُغمضة العينين.

لتهتف سوسن بها:

-أنا من النهارده خدامتك.. أؤمري وأنا أنفذ....

*****

"يناير - ٢٠١٨"

كانت تقف خلف باب غرفتها تنظر نحوه من فتحة صغيرة في الباب، والدتها تجلس بثوب لون السكر يكاد ينطق من شدة حلاوتها، وبجوارها جدها الغالي على قلبها، يجلس أمامهم رجل قد أخبرتها من قبل إنه سيكون مثل والدها بينما يحيل بينهما مأذون يعقد قرانهم.

انتهى عقد القران سريعًا لتعلو الزغاريد من خالتها وجدتها لتأتي بنت خالتها التي تُماثلها في السن تلكزها في كتفها قائلة:

-ألف مبروك يا جيجي وأخيرًا هيبقى ليكِ بابا يفسحك ويفرحك.

نظرت لها جيلان برقة وهي تتنهد قائلة:

-تفتكري يا ساسو هيعاملني حلو زي الشهور اللي فاتت ولا كان بيعاملني كدا بس لحد ما يتجوز ماما.

اقتربت منها سيلين تربتُ على كتفها:

-عمو سيد شكله طيب فعلًا يا جيلان، وطاير بيكي أنتي وخالتو، وباين قوي إنه بيحبكم، ماما كانت بتقول لخالتو ربنا عوضك يا راضية باللي هيسعدك أنتي وبنتك باقي عمركم وأنتي عارفه ماما بتفهم في الناس كويس.

قاطعت حديثهما راضية التي دخلت غرفة ابنتها تحضنها بسعادة بالغة، لتفعل جيلان بالمثل، وهي تتقافز بفرحة، وتهنئ أمها التي عانت طوال سنوات من هجر زوجها التي لم تتزوجه سوى عدة شهور ليرزقها الله بفتاتها الحبيبة التي دائمًا ما تقول إن الله عوضها بها لتكون صديقتها ورفيقة دربها.

خرج الجميع ليحتفلوا بالخارج لتقف راضية أمام باب الشقة واضعة كلتا يديها على كتف ابنتها وعينياها متعلقتان بها أمام الجميع من العائلتين قائلة:

-عاوزاكي تعرفي قدام الناس كلها أني ما عنديش أهم ولا أغلى منك، يعني انا ابيع الدنيا كلها عشان تبقي مبسوطة ولازم تعرفي أن اتقدملي في كل السنين اللي فاتوا رجالة كتير على يدك، ما وافقتش غير على سيد عشان لقيتك اتعلقتي بيه، وما خدتش أي خطوة جدية في الموضوع إلا بدفعه منك ورغبة حقيقة حسيتها من جواكي أنك محتاجة أب، عاوزاكي تتأكدي أن دا السبب الوحيد اللي خلاني أتجوز.

اقترب منها سيد بضحكة عالية قائلًا:

-عاجبك كدا يا ستي أهي باعتني عشانك!

ضحك الجميع بمرح، بينما ترقرقت عينا جيلان بدموع حبيسة ليحتضنها سيد أمام الجمع بعناية أب قد حُرم من نعمة الأبوة ليردد بشجن:

-وأنا كمان عاوز أقولك أنك السبب الأول اللي خلاني اخد قرار بالجواز تاني لأني فعلا محتاج أكون أب قبل ما أكون محتاج لزوجة.

دعا الجميع لثلاثتهم بالسعادة الدائمة وانطلقوا كي يحتفلوا بهذه المناسبة.

بعد مرور خمسة عشر يومًا كانت تمكث بها مع جدتها وجدت أمها وزوجها يطرقان الباب، طلبت منها جدتها أن تفتح لهما لتتفاجأ جيلان بهما، لتُهلل بسعادة كبيرة وهي تحضنها:

-مامي.. وحشتيني قوي!

قبلتها أمها في كل جزء من وجهها وبعد كل قُبلة كانت تحتضنها ثانية وهي تبدد الشوق بابنتها الصغيرة، وقف سيد خلفها يجعد ملامحه قائلًا:

-أنا لسه مستني دوري!

ضحك الاثنان بمرح لتحضنه الفتاة بحب كبير وهي تُقبل وجنته:

-وحشتني يا بابا سيد!

دخل ثلاثتهم البيت، بينما قالت لها راضية:

-حضري حاجتك يا جيلان يلا عشان نروح البيت.

ركضت الفتاة لغرفتها ثم أخرجت حقيبتها الكبيرة ووضعت فيها كل ملابسها وأغراضها الشخصية بفرحة عارمة، وأخيرًا سيصبح لديها بيت وعائلة، ولها أب مسؤول عنها وسند لها وعوض من الله على

حرمنها من نعمة الأبوة طوال سنوات.

انتهت من تعبئة كل ما يخصها وخرجت إليهم تجر حقيبتها خلفها، جلسوا قليلًا مع جدتها وجدها ليقف سيد يطلب منهم الرحيل، ودعت جيلان جديها بدموع كثيفة ووعدتهما أنها ستقضي معهم بضعة أيام كل فترة، ركبوا السيارة لينطلق بهم سيد بمفاجأة خاصة لجيلان حين ذهب بها للملاهي.

غمرتها السعادة هي وأمها وقضوا يومًا لن تستطيع نسيانه أبدًا ولا نسيان فرحتها بما آلت إليه أحوالهما، ظنت أن السعادة سوف تدوم مع هذا الرجل المعطاء الحنون الذي يحبها كثيرًا حتى أكثر من أبيها الذي كان سببًا في وجودها للحياة.

مرت سنة وبضع شهور حتى بدأت تشعر بشيء عجيب في زوج أمها! اهتمامه الزائد بها، دخوله غرفتها دون استئذان أو حتى طرق على باب غرفتها، تقربه الزائد منها بالإضافة للمساته على جسدها التي بدأ تستشعر أنها ليست بريئة أبدًا.

ولكنها كانت تُكذب شكوكها دائمًا بحجة أنها لم تعش مع والدها أبدًا، ولذلك مؤكد أن هذا فعل طبيعي للآباء الحقيقين ولكنها بالطبع غير معتادة على هذا، إلى أن أصبحت حركاته ولمساته أكثر جراءة فقررت أن تشكو لوالدتها من اقتحامه غرفتها دون استئذان وملاحظتها الدائمة لتقربه منها الزائد عن الحد.

استغلت وجوده بالخارج لتركض نحو أمها التي كانت في غرفتها تجلس بهدوء وهي تقرأ كتاب، طرقت باب الغرفة لتأذن لها بالدخول على الفور.

جلست جيلان أمام راضية بوجنتين حمراوتين من الخجل مترددة وهي تقول:

-ماما كنت عاوزه أقولك على حاجة كدا!

اعتدلت راضية في مجلسها لتتربع أمام ابنتها باهتمام بالغ قد اعتادت عليه من أمها لتسألها بلطف:

-قولي يا قلب ماما أنا سمعاكِ!

زفرت بضيق فما ستتحدث به مُحرج للغاية، ولكن أمها عودتها أن تصارحها بكل ما يختلج بصدرها أو يحدث معها.

شجعتها راضية على الحديث فأخذت نفسًا عميقًا لتخبرها:

-بابا سيد!

هزت راضية رأسها بتساؤل وهي تمسك بكفَّي ابنتها بدعم:

-ماله!

أخرجت جيلان كل ما تشعر به:

-يعني بلاقيه بيفتح عليا باب أوضتي فجأة وكمان باتضايق لما بيقعد يحضني جامد أو يحط إيده عليا بهزار.

انقبض قلب أمها مما تتحدث عنه الفتاة، وتغيير لون وجهها وهي

تسألها باهتمام بالغ:

-هو اتعرضلك بأي شكل يا جيلان.. صارحيني!

هزت جيلان رأسها بقوة نافية الأمر:

-ابدًا يا ماما والله! هو كدا بس، أنا بس مش فاهمه دا حب زيادة ودا الطبيعي من أي أب ولا هو غريب عليا عشان أنا عمري ما عشت مع أب.

ترقرقت الدموع في عينيّ راضية لتحتضن ابنتها بحب كبير مرددة:

-يا حبيبة قلبي ما تعرفيش كلامك بيقطع قلبي ازاي..

ثم ابتعدت عنها تضع كفيها على وجنتي ابنتها بلطف قائلة:

-تعرفي إن بابا مكنش بينام إلا على رجلي، وفي الراحه والجاية كان بيقعد يبوسنا أنا وخلاتك وياخدنا كلنا في حضنه..

-التقطت بضعة أنفاس بصعوبة لتتجمع قطرات من العرق على جبهتها لم تلاحظها جيلان بعد، فأكملت راضية وهي تحاول ألا تُظهر لابنتها حالتها السيئة مما قالته:

- وكان كل جمعه بعد الصلاة يرجع يخدنا كلنا على سريره وحواليه ويقعد يحكيلنا الخطبة وياخدنا كلنا في حضنه وننام ساعه، لازم ينيمنا في حضنه كل جمعه، كان معوض حب وحنان كبير عشان كدا عمرنا ما احتاجناه ولا طلبناه من بره،

ابتسمت لها جيلان مرددة:

-جدو حبيبي فعلًا كان بيعمل معايا كدا!

لم تسطع راضية أن تُخفي حالتها أكثر من ذلك، فقد خانتها رئتيها كالعادة بضيق في التنفس فتلون وجهها بزرقة معتادة على ابنتها، فركضت جيلان سريعًا نحو درج الطاولة التي في الغرفة لتناولها جهاز الاستنشاق بحزن كبير، لأنها تعرف جيدًا أن هذه النوبة لا تأتي لها إلا حين تحزن بشدة.

مؤكد حديثها أتعسها لتُصاب هكذا بنوبة في دقائق، بدأت راضية في التنفس بهدوء، وظلت هكذا وقتًا ليس بقليل حتى عادت لطبيعتها.

انهمرت دموع جيلان بأسف، وهي تعتذر بشدة عما قالته لأمها، لتلومها راضية بعتب شديد، وهي تحاول جاهدة أن تتكلم دون نهجان:

-إوعي تلومي نفسك أنك بتحكيلي أي حاجة مضايقكِ يا جيلان إوعي، أنتي عارفه إني قوية وأقدر استحمل أكتر من كدا بكتير.

ربَّتت على كتفها وقبلتها من وجنتيها بحنان، ثم طلبت منها أن تعود لغرفتها تدرس وتركز في دراستها جيدًا، وذكرتها بمستقبلها التي تسعى إليه، فهي تريد أن تُصبح فنانة تشكيلة.

وعدتها جيلان أنها ستُحقق أحلامهما سويًا وتركتها تستريح قليلًا وعادت لغرفتها، وبعد قليل وصل سيد للمنزل ليشعر بهدوء غير مُعتاد، دلف لغرفته ليجد راضية تجلس بهدوء تنتظر عودته، خلع معطفه وانتقل لفك أزرار قميصه وهو يسألها:

-مالك يا راضية؟!

يجب أن تواجهه بما أخبرته به ابنتها، ولكن بطريقة غير ملفتة حتى لا يشعر أن الفتاة تتصيد له الأخطاء أو تشكو منه، وهو من وجهة نظرها زوج مثالي للغاية، فهي تحمد الله ليلًا نهارًا على أن رزقها به.

وبالطبع لا يقصد ما فهمته الفتاة أو شعرت به، ولكن عليها لفت انتباهه فقد كبرت ابنتها وبلغت، ويجب عليهما أن يغيرا كل معاملتهما معها، لأنها قد أصبحت حساسة للغاية، وفي مرحلة يجب عليهما احتوائها والابتعاد عن جسدها، حتى لا تقع في أخطاء جسيمة.

وقفت خلفه تناوله ثيابه المنزلية، وهي تقول له بهدوء تام:

-كنت عاوزه اتكلم معاك في كذا حاجة لاحظتها كدا!

أنهى ارتداء ثيابه، وجلس على المقعد ليدعوها أن تجلس أمامه منصتًا لها باهتمام بالغ، تطلعت لعينيه بتركيز تام وهي تقول له:

-أصل أنا خدت بالي كذا مرة إنك بتفتح على جيلان أوضتها من غير ما تخبط، وأنا مش معوداها على كدا.

ضم حاجبيه بدهشة وهو يسألها باهتمام:

-هي اشتكلتك ولا إيه!

نفت الأمر سريعًا:

-أبدًا أنا اللي خدت بالي امبارح، وانا خارجه من المطبخ لقيتك بتفتح عليها فجأة:

رفع كتفيه بعدم اهتمام:

-كنت عاوز اقولها إن الاكل جهز، وبعدين أنا بتعمد أعمل كدا من وقت للتاني يا راضيه عشان لو بتكلم حد في السر أو كدا، إنتي عارفه انها خلاص بقت آنسة، ممكن أي عيل يضحك عليها بكلمتين، فبحاول أكون رقيب عليها من جهة ومن جهة تانيه أعوضها الحب والدلع والاهتمام عشان ما تدورش عليه بره.

تنهدت براحةٍ فكلامه منطقي للغاية، بالإضافة إلى أنه بالفعل الأب المناسب لفتاتها، أمسكت كفه تُقبل باطنه بشكر بالغ على رؤيته ورعايته واهتمامه بهما ليقول لها بتفهم:

-بس أنا بعد كدا هابقى أخبط، أنتي عندك حق، ممكن تكون بتغير هدومها أو قاعدة براحتها، لازم برده نديها خصوصيتها عشان هي كبرت ما بقتش طفله.

ابتسمت له بحنان وهي تردد:

-أكتر حاجة بحبها فيك أنك بتفهمني من غير ما أتكلم، ربنا يخليك لينا وما يحرمناش منك أبدًا.

قَبل يدها بحب، ثم سألها ضاحكًا:

-هنقضيها حب ومش هناكل ولا إيه!

انتفضت بنشاط كبير، وهي تخطو نحو المطبخ:

-خمس دقايق والأكل يكون جاهز!...

*****

فزع مُنصف من نومه يتصبب عرقًا ليجدها الثالثة صباحًا، وضع كلتا يديه على رأسه يحاول السيطرة على جسده المُرتعش وهو يردد جملة: "أنه لم يكن سوى كابوسي المعتاد"

زفر بضيق ليرن هاتفه، فابتسم لأنه يعرف المُتصل جيدًا..

سحب هاتفه من أعلى المنضدة ليجيب:

-أعمل إيه المرة دي!

ضحكت السيدة على الجهة الأخرى:

-تعمل زي كل مرة، قوم يا حبيبي اتوضى وصلي وكلمني وأنت طاهر..

ابتسم براحة فهي دائمًا ما تخفف عنه ببضع كلمات بسيطة، يكفي صوتها ليُصبح في أحسن حال، تنهد وهو يقول لها:

-حاضر يا تيتا هقوم اتوضى واصلي، بس عاوزك تدعيلي النهارده أول مأمورية هقوم بيها لوحدي..

أخبرته بصوتها الرنان:

-إن شاء الله هتبقى مأمورية ناجحة وهتترقى بعدها كمان، أهم حاجة تدور في الأماكن المقفولة، ولما يتحقق كلامي تجيلي..

ضم حاجبيه ليجدها أنهت المحادثة، قام ليفعل ما أمرته به، وجلس بعد صلاته يقرأ قليلًا من القرآن كما عودته جدته، ثم انطلق خارجًا لصلاة الفجر ليعود منزله يرتدي بدلته الرسمية وانطلق مستعينًا بالله في مهمته الأولى وهي القبض على تاجر مخدرات متلبسًا..

قام بتجهيز الكّمين على الطريق الصحراوي، ووقف ينتظر عدة ساعات حتى انتصف النهار وبدأ يشعر بالتعب الشديد بسبب حرارة الشمس الحارقة.

جلس قليلًا وهو يتابع بعينيه العربات المارة بتركيز تام، حتى توقفت عربة نقل ثقيل ليتم تفتيشها، فحصها العساكر بدقة، بينما ظل منصف على جلسته يُحدق في السائق وتابعه اللذان يقفان بثبات شديد مع العساكر ويفتحان الصناديق الورقية التي تحتوي على مواد غذائية بكل ثقة، لم تساوره الشكوك تجاههما ولكن شعوره القوي الذي لا يخطئ جعله يقرر أن يقوم من جلسته ليتفقد العربة جيدًا..

لفت نظره أنه كلما أقترب منهما أسرعا بفتح الصناديق دون تروٍّ.

انتهوا من تفتيش معظم ما في العربة وعلى عجل قفل الحاجز المعدني ليتحرك السائق ناحية المقود وبجواره جلس تابعه، أدام النظر نحوهما وهو شعوره تجاههما بشيء غير سوي يقوى كلما بدأ بالابتعاد، وقبل أن ينطلق السائق أوقفه مُنصف وهو يلمح صندوقًا خشبيًّا ظهر جزءًا منه من بين الفراغ الموجود في الحاجز المعدني الذي أغلقه السائق على عجل فلم ينغلق بأكمله.

نزل التابع وظل السائق مكانه، ليشير منصف نحو العسكري ليذهب للوقوف بجوار السائق وإنزاله، وفي هذه اللحظة وقبل أن يفتح التابع الحاجز المعدني مرة أخرى، انطلق السائق سريعًا وهو يقوم بكسر

الحواجز الموضوعة أمامه ليتخطاها.
ركض مُنصف نحو سيارته ليستقلها ومعه اثنان من العساكر، بينما الآخرين قبضوا على التابع، ووضعوه في عربة الترحيلات.
قاد مُنصف بأقصى سرعة خلفه في مناورة شديدة الخطورة، وبعد مطاردة دامت وقتًا قصيرًا كان مُنصف أسرع منه بقليل، مما جعله ينحرف يسارًا في منعطف جانبي كان موجودًا في منتصف الطريق ليخرج منه بعاصفة ترابية شديدة فمال للجهة الأخرى ثم وقف بعرض الطريق ليجده السائق يقف بسيارته أمامه ولا سبيل للهرب سوى التوقف قبل أن تنقلب عربته ويصبح صريعًا في الحال.
ضغط على المكابح بقوة ليترجل مُنصف ومن معه يتوجهون نحوه، أمسكه العساكر ليكبلوه بالأصفاد، بينما توجه مُنصف نحو البضائع ليفتشها مرة أخرى..
ظل يبحث قليلًا حتى وجد أسفل الصناديق فرشة كبيرة من الخيش فوقها مجموعة من الكراتين المفتوحة والمفترشة عليها.
أمر أحد العساكر أن يزيح هذا الورق وما تحته ليجد ضالته، باب صغير داخل العربة موصودٌ بقفل، وكأنها خزنة صغيرة، أمر العسكري الذي يمسك السائق أن يفتشه حتى يجد المفتاح، وبالفعل وجده في جيبه الخلفي، ناوله لمُنصف ففتح به الباب المخفي ليتردد في عقله جملة جدته:

"أهم حاجة تدور في الأماكن المقفولة"

ابتسم وهو يدعوا لها، ثم انتقل لكمينه ليأخذ باقي أفراد الأمن وينتقل إلى قسم الشرطة التابع له ليغلق المحضر بتلبس المتهمين واعترافهم بالتاجر الحقيقي، ليتم القبض عليه في الحال وإحالة القضية للنيابة.

انتهى مُنصف من أول قضية له بعد ثلاثة أيام متواصلة ليخرج من قسم الشرطة إليها..

قاد سيارته نحوها ليجلس أمام شاهد القبر بسعادة قائلًا:

-كانت عملية ناجحة، واللي قولتيه اتحقق وجيتلك زي ما طلبتي، ثم جلس على ركبتيه لتتحول سعادته لحزن وهو يردد:

-بس انتي وحشتيني قوي ونفسي أنام على رجلك زي زمان واحكيلك همومي، ثم وقف يستند برأسه أعلى القبر هامسًا:

-هستناكي الليلة تتصلي بيا.. إوعي تتأخري..

*****

وضعت السماعات في أذنيها، وهي مغمضة العينين لتبدأ في استحضار النوم بشكل هادئ، وقبل أن تغط في النوم سمعت خطوات أقدام تقترب منها، فتحت عينيها ونزعت سماعات أذنها لتنصت لحظة قبل أن تتحرك لتجده فوق رأسها، انتفضت بفزع وهي تُتمتم:

-في حاجة يا بابا سيد!

عيناه حمراء تنضج بشرر لم تعِه هي ببراءتها، لتبدأ نفس العينان

بالتجول على جسدها الصغير، ورغم أنها أتمت السبعة عشر عامًا إلا أن جسدها الرفيع يمتلك جاذبية سيدة في كامل أنوثتها.

شعرت الفتاة بشيء عجيب في هذا الرجل الذي تناديه " بابا"، يتطلع نحوها بغرابة لا تفهمها قط، اعادت عليه السؤال وقد بدأت تتكمش على نفسها من القلق لتجده يمد لها يده قائلًا:

-تعالي معايا!

ترددت وهي تسأله بخوف ازداد مع نظراته:

-فين!

ابتسم لها بشيطانية:

-ما تخافيش تعالي!

مدت له يدها وهي تذم شفتيها ليسحبها خلفه بهدوء قاتل جعل فضولها يغطي على إحساسها المخيف لتجده يتوجه ناحية غرفة نومه هو وأمها، للحظة ارتعبت من أن يكون مكروهًا أصاب أمها لتتسارع دقات قلبها حتى فتح باب الغرفة فوجدت والدتها تنام قريرة العين بشكل طبيعي.

فسحبت يدها من يده بعصبية قائلة:

-هو في إيه!

اقترب من أمها النائمة في سبات عميق وأخرج سلاحه الأبيض الذي لم تره أبدًا من قبل لتجحظ عيناها وهو يفتحه بطريقة بطيئة ويوجه

نحو عنق والدتها الممددة على ظهرها بهدوء لتصرخ بصوت رج الغرفة رجًا فنظر لها محذرًا برعب أصابها أن ترفع صوتها مرة أخرى جعلها تنادي ببكاء:

-يا ماما اصحي يا ماما!

وبخطوات واسعة اقترب منها قائلًا:

-ماما مش هتصحى يا حبيبتي إلا الصبح إن شاء الله! لو أنتي سمعتي الكلام، التفتت نحوه تمسح دموعها بباطن كفها مرددة:

- يعني إيه؟!

أجابها بهمس قاتل وهو يلتصق بها من الخلف:

-يعني لو عاوزه ماما تصحى الصبح هتسمعي الكلام، لو مش عاوزها تصحى خالص اجري على أوضتك.

التصقت قدماها بالأرض وهي لا تفهم ما الذي يفعله لدرجة أنها شكت للحظات أنها في كابوس دخلته عندما غفت على سريرها، جسدها بدأ بالارتعاد ليعترض هو باستفزاز:

-لا يا حبيبة بابا سيد إوعي تخافي، احنا هنقضي سوا وقت لطيف هنا قدام ماما هتخافي من إيه بقى؟!

لعنت نفسها أنها فهمت مقصده، التف حولها كثعبان غَادر ينتظر من فريسته أن تتوه في نواياه لينقض عليها دون هوادة، وقف أمامها بفجور وقد اقتربت يداه تسرح على جسدها بينما هي بدأت البكاء

بصمت وهي تنظر لوالدتها تتمنى أن تستيقظ، وتراها، ولكنها لا تعلم أن المنوم الذي وضعه لها هذا الحقير قد جعلها في عالم آخر لن تستطيع أن تسمع أو تشعر بما يحدث مع وحيدتها من شخص ائتمنته على نفسها وعليها، على رجل اعتبرته لفترة طويلة أبًا لم تتمنَّ يومًا بأن يكون لها أب مثله.

تفاجأت بحركة سريعة منه فشهقت عندما حملها بيدًا واحدة ليقذف بجسدها على الفراش جوار أمها، ثم جرها من قدميها على الأرض ليتدلى نصفها الأسفل، بكائها الصامت ازداد بصوت مرتعب وتوسلات لا يستمع هو لها.

لقد وقع عقده مع الشيطان بأن ينتهك براءة هذه الفتاة بأبشع الطرق الممكنة، نزع عنها ملابسها التحتية وهي نائمة على بطنها بينما قدميها يقفان على الأرض لا تدري ما الذي سيفعله بها، ولكنه مؤكد شيئًا مؤلما للغاية.

نظرت تجاه أمها التي لا تشعر بشيء على الإطلاق لتحاول أن تُمسك يدها فحذرها بصوته المخيف:

-لو صحتيها هاقتلكم أنتوا الاتنين!

حاولت أن تعتدل على ظهرها حتى ترى ما الذي يفعله ولكنه جعلها تعود كما هي بصفعة قوية على عجيزتها جعلتها تتأوه برعب وهي ما زالت تئن بجسد منتفض، وقلبها يكاد يتوقف من الرعب والهلع الذي

تعيشه منذ دقائق مرت عليها دهرًا.

صاحت بصرخة مدوية جعلته يقبض على شعرها بيد يجره للخلف، بينما يضع يده الأخرى على فمها، عندها أحست بوخزات تخترق أنسجتها المُحرمة بألم شديد لا تستطيع تحمله استمرت في الصياح بصرخات مكتومة حتى توقفت عن الضجيج حينما أُغشي عليها من الألم..

فاقت من إغمائها ودموعها ما زالت تُغرق خديها، جلست تتفقد المكان حوالها لتجد نفسها في غرفتها على سريرها ترتدي نصف ملابسها فقط!

جعلها الألم الذي شعرت به عند جلوسها تتذكر ما حدث لتصاب بحالة هياج تام، فظلت تبكي بنحيب وهي تلطم خديها، ولا تعرف ما الذي يجب عليها أن تفعله.

قامت بصعوبة وهي تتأوه من الوجع لتتقدم بخطوات بطيئة وقدماها ترتعدان بشدة، ولا ترى من دموعها الغزيرة موضع قدميها.

انطلقت نحو دورة المياه القريبة من غرفتها تتسحب كالقطة الجريحة التي ظنت أنها نجت من هجمة ذئب أراد افتراسها، أغلقت باب الحمام خلفها بالمفتاح، وخلعت ملابسها التي أقسمت أن تُحرقها حين تسترد بعضًا من عافيتها.

وبصعوبة شديدة استطاعت إزاحة جميع ملابسها من عليها لتشهق

بذعر حينما وجدت قطرات دماء على ملابسها الداخلية.

عادت للطم خديها بنواح مستمر وكلمات مُكررة وسباب لم تعرف معناه من قبل، ثم وقفت تحت شلال المياه تدعك جسدها بشراسة حتى كادت أن تُمزق جلدها الذي تلون باحمرار شديد من شدة فركة بنبات اللوف الخشن.

تعبت وانهار جسدها فخرجت تقطر منها المياه المختلطة مع دموعها، ارتدت مئزرها وهي تشعر أنها ستصاب بأزمة قلبية جراء ما حدث معها، ثم دخلت غرفتها وقفت هنيهةً أمام الباب من الداخل لتُغلقه بمفتاح داخلي، لتتوقف أمام خزانتها تخرج منها ملابس نظيفة لترتديها بمشقة جعلتها تشعر بالشيب في عدة دقائق.

تمددت على سريرها تبكي طوال الليل حتى حل الصباح وسمعته يودع والدتها خارجًا للعمل، مسحت دموعها سريعًا وهي تتنفس الصعداء، لقد عزمت أمرها على أن تقص على والدتها ما حدث، رغم أنها تعلم حالتها الصحية، وهناك احتمالية أنها لن تتحمل ما ستسمعه منها، وستصاب بأزمة ربوية، ولكنها لن تتركها وستأخذها وتغادر هذا البيت، وسوف تترك والدتها هذا القذر الذي انتهك عرضها كما فهمت!

وقبل أن تخرج من غرفتها وجدت هاتفها يرن، امسكته بيد مرتعشة حين وجدت رقمه، وقفت تنظر لاسمه بغضب مستعر وغيظ، وقد بدت

فكرة قتله في هذه اللحظة فكرة قيد التنفيذ، لينتهي الرنين، ويبدأ آخر قبل أن تضع الهاتف موضعه.

لم تجب عليه وقررت أن تفعل ما تفكر به طوال الليل ليصلها رنين رسالة نصية، تيقنت أنه هو فهذا ما أرادته حتى تجعل والدتها ترى ما بعثه لها وتتأكد مما سوف تخبرها به.

امسكت هاتفها لترى رسالته التي بعثها لها من رقم غير مُسجل جعلتها تعيد البكاء بمرارة لا تستطيع التخلص منها منذ الليلة الفائتة، وتشك أن هذه المرارة سوف تتركها يومًا حتى تقرر أن تنهي حياتها:

" لو ماما عرفت حاجة من اللي حصلت هقتلها الأول قدام عينك وبعدين هعمل فيكي اللي عملته امبارح"

جلست وقد اتعبها الألم والبكاء معًا، ففكرة أن تُخبر والدتها الأمر وتعودا لبيت جدها الذي يعرفه هو جيدًا، أصبحت غير صالحة للتنفيذ؛ فهذا الرجل خطر للغاية، لقد رأت ما فعله بالأمس، لقد وضع سلاحه الحاد على رقبة والدتها دون أن يرف له جفن.

فكرت أن تتركهما وتذهب لجدتها هي بحجة أنها لم تزرها منذ وقت طويل، وبعد فترة تطلب من أمها أن تتركها عندها حتى تدخل الجامعة، ولكنها لن تستطيع تركها مع هذا الذئب، لقد هددها للتو بقتلها للمرة الثانية، فماذا إن تركته معها بمفردها.

استمرت في ضرب وجهها بقهر لتنام من كثرة البكاء والعويل حتى

فقدت صوتها، سمعت طرق أمها للباب بعنف، بعدما انتصف النهار وهي لم تخرج من غرفتها بعد، فقامت تجر قدميها لتفتح لها.

شهقت راضية بفزع حين رأت وجهها وجسدها المرتعش، لحقتها قبل أن تقع ليدوي صوتها بذعر:

-بنتي.. جيلان

*****

بعد مرور عدة أسابيع عقب هذه الحادثة التي فقدت فيها براءتها ونقائها وعفتها بل وأمنها وأمانها، كانت تتجنب اللقاء به بأقصى ما أمكنها، بأن تنام قبل مجيئه من الخارج أو تعتذر عن الانضمام لهما في الوجبات بحجج مختلفة، أو تذهب لتبيت عند جدتها يومان في نهاية الأسبوع، ولا تستطيع المكوث أكثر من ذلك خوفًا على أمها من هذا الكلب الجائع، بالإضافة لباب غرفتها الموصد من الداخل طوال جلسته في المنزل.

تتجنب النظر لعينيه اللذان تشعر بمراقبتهما، كلما خرجت من غرفتها مع ابتسامة شيطانية تجعل قلبها يهوي في قدميها، صوته المقزز يصيبها بالغثيان، بينما رائحته العطرة التي تنتشر في المنزل فور نزوله تجعل صدرها يضيق بأنفاس خانقة مع عودة لألم غير محتمل، يجعلها تهرب لغرفتها باكية حتى تنام بقلة حيلة ووجع لا يوصف.

لم تتحمل راضية رؤية ابنتها هكذا منذ عدة أسابيع، لقد انقلب حال الفتاة رأسًا على عقب، لم تعد تضحك كعادتها أو تخرج حتى من غرفتها لتنضم إليهما، لقد فسرت هذا الأمر من وقت مرضها أنها تمر بتقلبات مزاج اعتيادية، ولكن الأمر طال كثيرًا، وخاصة أنها ترى ابتعادها عن زوجها الذي يرعاهما كثيرًا، وكلما تحدثت معه بأمرها قال لها:

"سبيها ياستي بقت آنسة ولها خصوصيات، ما تخنقيهاش يا راضية، دلوقتي ترجع تاني هي فترات المراهقة كدا، أنتي مكنتيش بنت زيها ولا ايه.."

لم تقتنع راضية بما يقوله زوجها، هي ابنتها التي لم ترزق بسواها، هي رفيقة دربها وصديقتها الوحيدة وتعرفها جيدًا، أبدًا لم تكن بهذا الحال من قبل، بل فتاتها تمر بتجربة صعبة لا تُحتمل، ويجب عليها أن تعرف ما بها.

انتظرت حتى خرج زوجها في المساء كعادته وذهبت لتطرق باب غرفتها عازمة أمرها أن تعرف ما الذي تمر به، سألتها جيلان من خلف الباب بذعر:

-مين؟!

ضمت راضية حاجبيها بتعب وقلق على السواء وهي تجيب بصوت مرتفع يغلفه الضيق:

-أنا!

فتحت لها بقلق لتجد أمها متجهمة:

-أنا عاوزه أعرف حالًا مالك يا جيلان، وإيه اللي بيحصل معاكي.

جلست جيلان على فرشها بوجها العابس طوال الوقت لتجيبها:

-ما فيش حاجه يا ماما أنا كويسة!

جلست أمامها وبحنانها المعتاد وضعت كفيها على وجنتي ابنتها تلتمسهما برقة قائلة:

-أنا حاسة أنك مش كويسة وأنا إحساسي ما بيكذبش عليا، ولا أنتي عمرك كذبتي يا جيلان.

ترقرقت الدموع بعينيها لتقبل باطن يد أمها وترسم ابتسامة متألمة على وجهها:

-صدقيني يا ماما ما فيش حاجة أنا بس تعبانة شوية ومتخانقة مع صحباتي، حاجات تافهه يعني ما تشغليش بالك.

ارتعش جسدها حين سمعت باب الشقة ينفتح، وصوت سلسلة مفاتيحه تجعل قلبها يصرخ بأنين مؤلم، شعرت بها راضية لتنظر نحو وجهها الذي اصفر وهربت الدماء منه، وقبل أن تسألها عما حل بها وجدته يدخل عليهما بشنطة كبيرة بها جميع الحلوى التي تُحبها جيلان، ليقدمها لها ببسمة كادت أن تتقيأ من رؤيتها تلوح على وجهه..

مد يده لها بالحلوى قائلًا:

-جبتلك كل اللي بتحبيه يا جي جي، يمكن تخرجي من اوضتك دي وتقعدي معنا.

زاد ارتعاش بدنها لتتحدث راضية شاكرة إياه:

-شكرًا يا حبيبي على اهتمامك، بتقول مزاجها وحش عشان متخانقه مع صاحبتها.

جلس سيد بجوار زوجته يلف ذراعه حول خصرها وهو يوجه حديثه المُبطن نحو جيلان:

-زي ما قولتلك مشاكل بنات، اطمني عليها، هي زمانها بقت كويسه وهتقعد معنا انهارده نتسلى سوا زي زمان.

ابتلعت ريقها بصعوبة وقد بدأت قطرات العرق تتجمع على جبهتها من التوتر والقلق من حديثه، لتنظر نحوها راضية بانزعاج واضح لتضع كفها على وجنتها قائلة:

-حرارتك كويسه، أومال مالك عرقتي كدا ليه!

أخرجت صوتها المُتعب:

-ما فيش حسيت بهبوط بس شويه وعاوزه أنام!

ضيق عينيه نحوها ليجرها من يدها فجأة حتى كادت أن تتعثر لتنظر له أمها بغضب شديد وهو يقول:

-بلاش دلع بنات تعالي يلا نقعد كلنا سوا!

شعورها بالرعب منه وجره لها خلفه جعلها تبكي بحرقة لتتدخل أمها

على الفور تأخذ يد ابنتها من كفه بحنق قائلة:

-في ايه يا سيد بالراحة على البنت قالتلك تعبانة!

تفاجأت ببكاء ابنتها المرير ليرفع زوجها ذراعيه مبررًا فعلته:

-أنا بس كنت عاوزها تفك معنا.. أنا آسف!

ثم خطى نحو غرفته لتركض جيلان لغرفتها تغلقها خلفها بالمفتاح وجسدها بأكمله يرتعد برعب.

ارتمت على فراشها تنوح وهي تضع وسادتها على فمها كي لا تسمعها أمها التي وقفت في منتصف الرواق تنظر لكيليهما بحيرة لا تعرف من تتبع فيهما، تركت ابنتها حين سمعت صوت مفتاحها يُغلق كي تهدأ قليلًا وخطت نحو زوجها بغيظ لتواجهه:

-إيه اللي أنت عملته دا، فزعت البنت وهي أصلًا مش ناقصه، هو في حد يشد حد كدا؟!

جلس على فراشه بحزن رسمه بإتقان على وجهه وهو يقول:

-أكيد مكنتش أقصد يا راضية أنا قولت اخرجها من اللي هي فيه.

لانت ولان صوتها وهي تقترب منه:

-حصل خير يا حبيبي، بس أنا مش مطمنة، البنت مش مظبوطة خالص حالها كله اتبدل فجأة.

قَبّل كفها برقة وهو يطمئنها:

-ما تقلقيش عليها بكرة تبقى زي الفل.

ثم ناولها كوبًا من العصير قائلًا:

-خدي روقي دمك أنا لسه جايبه وأنا جاي عارف أنك بتحبي التفاح بالكمثرى.

ابتسمت له وقبلت وجنته وهي تأخذ من يده العصير لتمكث بعدها عدة دقائق وتغط في نوم عميق.

قام من مكانه بخطوات بطيئة كثعلب ماكر يتمهل حتى يحصل على فريسته، وصل لباب غرفتها ليطرقه بشكل مُفزع قائلًا:

-الحقي مامتك يا جيلان جت لها الأزمة ومش لاقي البخاخه.

ركضت بأقصى سرعة تفتح الباب بهيستريا لتدفعه وتجري نحو غرفة والدتها لتجدها نائمة في هدوء تام، وحين أدركت لعبته الحقيرة فاتها أوان العودة، وجدته خلفها ليرفعها بغتته مقيدًا كلتا يديها اللتان كانت تقاومه بهما وهي تصرخ بقوة وبأعلى صوت لها.

تركها مقيدة اليدين وذهب على عجل لجلب سلاحه الأبيض ملوحًا به أمامها، ثم تحرك نحو راضية واضعًا إياه على رقبتها نزولًا ببطنها وهو يغرزه برفق لتصمت جيلان وهي تعض شفتيها وعيناها تزرفان الدموع بصمت مُطبق، ليعيد كرته مرة أخرى ولكن بقسوة أكبر.

تكرر الأمر لمدة سنة لم تستطع فيها الهرب منه بأي شكل، حتى حاولت أن تنتحر مرات عديدة، ولكنها تتراجع في اللحظة الأخيرة لأجل أمها التي مؤكد أنها ستموت بعدها.

أما عن راضية فقد كادت تفقد عقلها، وهي ترى ابنتها تفقد وزنها بشكل مبالغ فيه، بالإضافة لشكواتها الدائمة من آلام متفرقة في بطنها وظهرها، كادت أن تأخذها رغمًا عنها كي تفحصها عند الطبيب، ولكن اعتراض الفتاة وزوجها حالا بينها وبين شعورها بتأنيب الضمير والإهمال.

تارة يخبرونها بضغط الدراسة، وتارة من قلة الطعام، وتارة حالة نفسية معتادة من الفتيات التي تمر بنفس المرحلة العمرية، حتى أتى اليوم الذي انهار به جسدها بعد تلك الممارسات الشاذة لتقع أرضًا، وهي تحاول الوصول لوالدتها التي كانت تقف في المطبخ لصنع الطعام.

سمعت راضية صوت ارتطام جسد ابنتها بالأرض فركضت بهلع نحوها لتصيح بهتاف عالي حتى أتتها جارتها "عالية" بذعر من صراخها تطرق على باب الشقة لتفتح لها راضية ببكاء شديد:

-الحقيني يا عالية، جيلان وقعت مش عارفه فيها إيه، وسيد مسافر اليومين دول،

ركضت عالية نحو شقتها وهي تقول لها:

-حطي أي حاجه عليكي وأنا هكلم حاتم يجهز العربيه وناخدها أقرب مستشفى..

دخلت راضيه لتجر عباءة من خزنتها تضعها على ملابسها المنزلية ثم وضعت حجابًا على رأسها كيفما اتفق، وقبل أن تحمل ابنتها وجدت

حاتم جارها يطرق الباب بحرج لتدعوه كي يحمل معها ابنتها ليقول لها:

-اتفضلي أنتي يا مدام راضية أنا هشيلها دا زي بنتي!

حملها بخفة ليتجهم وجه الرجل كيف لهذه الفتاة الشابة أن تكون بهذا الوزن النحيف، وضعها على الأريكة الخلفية في السيارة لتركب راضيه جوارها وهي منهارة بشدة من الخوف والقلق عليها، لتلحق بهم عالية تجلس على المقعد جوار زوجها فانطلق حاتم نحو أقرب مشفى للمنطقة..

*****

بعد عدة ساعات كاد القلق أن يأكل قلبها وهي تعود ذهابًا وتروح إيابًا حتى خرج الطبيب من الغرفة لتركض نحوه، حتى ضاق صدرها وبدأت تشعر باختناق حين سمعت الطبيب وهو يقول لها بتردد:

-أنتي والدتها؟

وضعت راضية كفها على فمها وهي تتوقع الأسوء، حتى أكمل الطبيب حين وجد وجهها يميل للزراق:

-احنا محتاجين فحوصات كمان لأن الحالة مش مطمئنة.

لم يستطع أن يقول أكثر من ذلك، كانت عالية تقف جوراها تستمع للطبيب بانتباه وحزن شديد، حتى شعر الطبيب أن راضية تجاهد في الرد عليه فنادى بعجل على الممرضات يلحقنها قبل أن تختنق

بالكامل.

أمسكت بها عالية قبل أن تسقط هي الأخرى، وتوجهت مع الممرضات لغرفة الرعاية ليضع لها الطبيب جهاز التنفس الصناعي لتأخذ جلسة تمُد رئتيها بما تحتاجه من الأكسجين.

انتظر حاتم الطبيب في الخارج ليطمئن منه على حالة الفتاة وأمها ليسأله الطبيب بحزن بالغ:

-هي الشابة اللي جيبتوها دي تقربلك إيه؟!

أجاب حاتم بثقة:

-زي بنتي بالظبط يا دكتور.. هي مالها أرجوك طمني!

نظر الطبيب حوله بحذر، ثم أخبره بصوت خفيض:

-البنت عندها أورام في المستقيم بسبب ممارسات..

صمت للحظات فجحظت عينا حاتم بذهول قائلًا:

-ازاي اللي بتقوله دا! دا بنت محترمة جدًا!

هز الطبيب رأسه بأسى:

-من الواضح أنه مش بإرادتها يا أستاذ حاتم، لأنها ما زالت بنت وواضح جدًا إنه اغتصاب وحشي.

استند الرجل على الحائط خلفه، يكاد يُكذب أذنيه مما سمع، ليقترب منه الطبيب بغضب مخلوط بمشاعر أسى شديدة على الفتاة المسكينة ليخبره:

-احنا محتاجين نعملها عملية في أقرب وقت لان لا قدر الله لو الأورام دي خبيثة، فحياة البنت في خطر، بس أنا بالنسبة لي بطمنك الموضوع لسه قيد السيطرة، وأعتقد إن الأورام دي هتطلع حميدة إن شاء الله بس أنا حبيت أوضحلك الصورة لو حابب إني أعملك محضر بالحالة يبقى عملت الصح، لأن من الواضح أن في حد بيستغل البنت دي، وأنا بصراحة مستاء جدًا بسبب حالتها،

تمالك حاتم نفسه وأومأ له قائلًا:

-كتر خيرك أنك قولتلي الوضع بس عندي ليك رجاء أنت شايف حالة والدتها، اعتقد لو سمعت الكلام دا هتروح فيها خلي الموضوع بينا وأنا هتصرف وأبلغك باللازم.

تركه الطبيب وذهب ليخطو حاتم ببطء وحزن شديدين نحو غرفة راضية ليشير بعينيه لزوجته ففهمت مراده لتُرَبت على كف راضية التي أغمضت عينيها بتعب شديد.

تقدمت عالية من زوجها لترى ما الذي يريد إخبارها به، ويا ليته لم يخبرها.. جلست عالية على الأرض تضرب رأسها ووجها بصدمة لا تصدق ما قاله زوجها، حاول تهدئتها قليلًا، وطلب منها أن تذهب للفتاة، وتتحدث معها علهم يعرفون الجاني، ووقتها سيتحدث مع أخيها ويرى ما الذي يجب عليهم فعله.

ساعدها زوجها لتجلس قليلًا على المقعد وتحاول أن تتمالك نفسها،

وكلما تخيلت ما حدث للفتاة بكت بدموع غزيرة، دفعها زوجها دفعًا حتى وصلت لغرفة جيلان التي تتمدد على الفراش مغمضة العينين ساكنة.

جلست عالية جوارها بحزن شديد، وبدأت تمرر يدها على شعرها وهي تقول لها بشهقات خافتة:

-مين يا حبيبتي اللي عمل فيكي كداّ؟

فتحت جيلان عينيها على وسعها لتتساقط دموعها على الوسادة من تحتها وهي تقول لها باستهزاء:

-بابا سيد يا طنط عالية!

شهقت عالية بصرخة جعلتها تضع كفها على فمها لتضرب فمها ضربات متكررة:

-يالهوي يا لهوي يا لهوي!

انتقلت تجلس أمامها وهي تضرب صدرها بارتياع:

-وأمك ما حستش بحاجة ازاي! وبقاله قد إيه بيعمل فيكي كدا؟!

اخبرتها بصوت مرتجف:

-بيدي لماما منوم في العصير.. وبقاله سنة بيعمل فيا كدا!

وضعت عالية كلتا كفيها فوق رأسها تصفق بهما، وقد امتلك الغضب جميع جسدها فوقفت تلتف حول نفسها قائلة:

-ازاي ما قولتيش لمامتك؟!

حاولت جيلان الجلوس فلم تستطع، فنظرت لها عالية بقهر لم تشعر به من قبل لتتساقط دموعها، وهي تمد لها يدها فجلست على جنبها وهي تزيح عبراتها بجانب كفها مُجيبة إياها:

-ما أنتي عارفه حالة ماما الصحية ياطنط عالية، تفتكري لو قولتلها حاجة زي دي هتستحمل!

جلست أمامها ثانية ووجها بدأ يشحب من حسرتها على الفتاة لتسألها:

-طب ما بعدتيش عنه ليه وروحتي لجدتك؟!

رفعت جيلان زاوية فمها بألم قائلة:

-لو روحت يومين كان بيتصل بيا أرجع، ويهددني أنه هيقتل أمي.

صكت عالية أسنانها بغيظ شديد وهي تزعق بها:

-هي سايبة يا بنتي ازاي ما بلغتيش عنه، هو انتي ساذجه كدا يا جيلان؟!

هزت رأسها نفيًا لتتناثر مع حركتها دموعها الغزيرة وهي تقول لها:

-أنا مش ساذجه يا طنط، بس معنديش دليل ضده حتى لما بيتصل بيا بيكلمني من رقم مش بتاعه، وهو نفس الرقم اللي بيبعتله منه رسايل تهديد.

انهارت بالبكاء وهي تُكمل:

-أنا حاولت أعمل كل حاجه لدرجة أني حاولت أموت نفسي كذا مرة بس خفت على ماما، أنتي ما تعرفيش هو ممكن يعملها إيه وهي نايمة..

اقتربت منها بعتب:

-طيب ما قولتليش ليه يا حبيبتي أو قولت لأي حد من خلاتك أو جدتك أي حد يساعدك بعيد عن أمك!

أجابتها بمنطقية وهي تشهق:

-خلاتي وتيتا وحتى جدو عمرهم ما كانوا هيسكتوا يا طنط أنا عرفاهم كويس، وحضرتك أنا عمري ما كنت أقدر أتكلم معاكي في حاجة زي دي لولا أنك عرفتي من الدكتور.

أخذتها عالية في أحضانها، وهي تربط على ظهرها تُهدئها:

-خلاص اهدي هنلاقي حل، أنا وأنتي بعيد عن ماما خالص وأوعدك أني هفضل معاكي لحد ما نخلص منه.

ابتعدت عنها جيلان متسائلة بفزع:

-ماما عرفت حاجة؟!

هزت رأسها نفيًا:

-ما تخافيش.. هي بس جالها أزمة لما عرفت إن حالتك مش مطمئنة ودخلت العناية أنا سيبها هناك.

انتفضت جيلان بقلق وهي تتحرك بصعوبة قائلة:

-أنا عاوزه اشوف ماما تعالي نروح لها...

*****

خطى ببطء وعيناه تجولان المكان بأكمله، يدقق النظر في كل علامة

يجدها ليسمع صوت آنين طفل من الداخل، دلف الغرفة ببطء ليجد شابًّا فوق العشرين بعدة سنوات في جسد طفل لم يُكمل التاسعة!

ضيق عينيه وهو يرى هالة سوداء تُشبه الكرة الصغيرة تدور في عقله ويخرج منها عدة خيوط تشتبك مع كل خلية داخل مخه.

نظر الشاب إليه وعيناه المُضمرة داخل دائرة من العظام يراها بصعوبة تستجديانه، وهو يرفع يده نحوه قائلًا بصوته الذي أضحى طفلًا صغيرًا:

-ساعدني أرجوك!..

انتفض من نومه وقد أغرقه العرق، وازدادت حدة تنفسه ليرن هاتفه الأرضي القديم بجانبه، جعله يختطف السماعة وهو ينهت لتحدثه جدته:

-مش هتلحقه!

جفف عرقه بمحرمة جرها من جواره وهو يجيب:

-يمكن أقدر، اديني العنوان..

أملت عليه مكانه، ليتحرك بسرعة البرق يصلي ركعتين ويرتدي ملابسه على عجل راكضًا نحو سيارته لعنوان الفتى.

وصل لقرية بعيدًا نسبيًا عن الحضر ولكنه وصل في النهاية عند بدأ ظهور الشمس في السماء، ليصف سيارته على أول الطريق عند الجسر الحديدي الصغير، ثم تقدم بخفة وهو يبحث عن البيت المنشود وسط

همهمات المارة، ليسأل أحدهم بلطف:

-بيت أحمد صلاح فين؟!

أشار له الرجل وهو يحدثه:

-اللي هناك دا يا بيه..هو أنت قريبه؟!

أومأ مُنصف برأسه، وشكره وخطى نحو المنزل الأسمنتي الذي لم يكتمل انتهائه بعد.

دخل بخطوات ثقيلة على نفسه من ضيق المكان ورائحته التي يعلمها جيدًا، اقشعرَّ جسده فالشر هنا عظيم لا يُحتمل! ورغم انقباض قلبه وإخبار جدته له بأنه لن يستطيع مساعدة هذا الشاب ورغم أنه كلامها لا رجعة فيه، إلا أنه قرر المجازفة علَّه يسابق الزمن وينتصر ولو لمرة واحدة.

طرق باب الشقة لتفتح له سيدة خمسينية قد زادها الشيب جمالًا وقد أثرت الهموم على وجهها فجعلت تجاعيده تنطق بالوجع لأجل فلذة كبدها، سألته السيدة بهدوء:

-حضرتك مين؟!

أجابها بوضوح:

-أنا اللي جاي أحاول أساعد ابنك.

سقطت دموعها عنوة، وأزاحت له طريق الدخول دون سؤال آخر، هي تتعلق بكل قشة ستنقذ ولدها الذي لم تنل نصيبها من الدنيا سوى

بثلاثة أبناء أعدتهم كي يصبحون أعمدتها، لينهار منهم عمودها الرئيسي بسبب لم تعرفه إلى الآن.

وأي سبب منطقي يجعل أحدهم يضره كي يُصبح مثل شمعة تذوب بانتقاص كل يوم حتى تختفي، وصفٌ قاله لها الشيخ المعالج بعدما فشل الأطباء في إيجاد سبب منطقي لحالته، لتُصبح اللامنطقي منهجها، والخارج حدود العقل هو طريقها، والأهم هي النتيجة التي لم تأتِ بثمارها لا بهذا ولا ذاك..

دخل على الشاب المنكمش على نفسه بأسى وحزن كبير، فكما سمع عنه وبحث خلال مجيئه للبلدة فهو شاب رياضي كان يجتهد ليصعد نجمه في سماء كرة القدم، بالإضافة لاجتهاده العلمي وسيرته العطرة، فهو لم يؤذِ أحدًا قط، ولم يفعل شيئًا في حياته سوى خطبته لفتاة لم يُصبح لهما نصيبٌ معًا..

الفاعل معروف بالنسبة له والمُحرض يعرفه جيدًا ولكن السبب مجهول والواقع أليم لا يستحق أحد خلقه الله هذا العذاب مهما جنت يداه من ظلم، فما بال من لم يفعل شيئًا.

زفر بضيق شديد واقترب منه ليضع يده على رأسه وبدأ بالتلاوة، همهمات أصبحت صرخات تعلو ليتكلم الوباء بصوته البشع:

-لا تحاول أيُّها الأنسي فهو بالفعل قد مات!

صاحت أمه ببكاء سيجعل القرية كلها تجتمع، رفع يده من أعلى

رأس الفتى، والتفت نحوها بنظرة تحذيرية وأمر نافذ بخروجها من الغرفة، وإغلاقها الباب خلفها وعدم صدور حتى زفير أو شهيق.

فعلت السيدة ذلك بقهر وعجز شديدين على أمثالها من السيدات اللاتي استطعن بمفردهن محاربة الدنيا بأكملها حتى يُصبح لديها ذرية يفتخر بها القاصي والداني.

عاد مُنصف لوضع كفه على رأس أحمد الذي ارتعد بشدة ثم اختفى من أمامه، ركل المقعد بغيظ شديد ووقف ينظر لأعلى مغمض العينين يردد بضع كلمات بها تهديدات وضيحة وصريحة ليُكمل بعدها باسم الجني الشخصي الذي عرفه من جدته قبل مجيئه.

سمع صوت ارتطام ففتح عينيه ليجد الشاب قد عاد موضعه وقد أظلم وجهه أكثر مما كان، ينكمش بعجز، بينما حدقتي عيناه سوداء قاتمة بفعل السحر، شعر للحظة أن جدته كانت مُحقة فهو ميت بالفعل!

لعن حظه وهو يضرب جبهته لوعلم قبل عدة أيام فقط كان استطاع إنقاذه من براثن مستقبل مُظلم بيد كافرة، ولكنه ورغم يقينه أصر على إكمال ما عليه.

وضع يده مرة أخرى أعلى رأس الشاب، وبدأ يردد دون الانتباه لما يحدث لأحمد الذي استمر في التشنج بنوبة يعدها الأطباء صرعًا، وكأنه يُصعق بفعل الكهرباء.

رفع منُصف يده قليلًا بعدما أصابها شلل مؤقت ثم أعادها حتى

وصل لموضع السحر الأصلي، جمجمة بشرية مدفونة تحت أمتار من التراب، محفور عليها كلمات السحر بدم الشاب وعرقه، كلما ازداد ترديد كلماته ازدادت الكلمات اسودادًا حتى بدأت تتساقط منها الدماء لتنعكس على فم أحمد ووجهه!

تناثرت الدماء على الفراش وصوت الجني يتردد بعلو:

-لا تفعل أرجوك ستقتلني معه، أنا لا ذنب لي أنا مثله.. توقف أرجوك!.

اسم الجني وصفته مربوطة في عين الجمجمة الفارغة، هو مُحق فقد ربطة الساحر دون إرادة، ولكن الشاب على الأرجح لن يصحوا سوى بموت الجني..

وبالفعل استمر بإرادة من حديد حتى اختفى صوت الجني الموكل بالمكوث في مُخ أحمد وتعطيل كل خلاياه.

استكان جسد الشاب بهدوء لينير وجهه كثيرًا عن ذي قبل، دلك مّنصف ذراعه بألم ظاهرًا جليًا على وجهه، ينتظر استيقاظ الشاب كي يطمئن عليه...

فتح أحمد عينيه التي أصبحت مثل السماء الصافية ببطء وبابتسامة لاحت على وجهه بصعوبة استطاع رسمها ليقول له بتعب شديد:

-مش عارف أشكرك ازاي على الشعور بالراحة ده..

تنفس مُنصف الصعداء وقبل أن يسجد شكرًا لله على أنه استطاع إنقاذه أكمل الفتى بيقين تام:

-بس الجني كان عنده حق، أنا كدا كدا ميت يا حضرة الظابط....

*****

خضعت جيلان لعملية سريعة ودقيقة وطلب منهم الطبيب أن تستريح منها عدة أسابيع، وفي خلال بضعة أيام سيوافيهم بنتيجة التحاليل الخاصة بالورم المستأصل.

أصرت جيلان أن تظل هذه المدة عند جدتها رغم اعتراض والدتها الشديد؛ إلا إن عالية أقنعتها أن تتركها في المكان الذي تريد الارتياح به.

وافقت على مضض وخرجت من المشفى لبيت والدتها تصحب ابنتها ليوصلهم سيد بسيارته بملامح غاضبة وهو يقول:

-أيوه يعني ما ترجعش على بيتها ليه، وأنتِ تراعيها هي يعني والدتك هتقدر!.

أمارات التعب ظاهرة جلية على وجه راضية؛ بينما تجلس جيلان بالخلف تستند على عالية التي تنظر نحو سيد بكره شديد وغل تحاول بقدر ما استطاعت من قوة كبح جماح غضبها الشديد منه الذي لو تركته ستفتك به في الحال.

استدارت راضية بنصف جسدها تنظر نحو ابنتها قائلة برجاء:

-فكري تاني يا جيجي وتعالي نروح بيتنا أحسن!

وقبل أن تصرخ بهم جيلان ضغطت عالية على ذراعها قائلة:

-ما تضغطيش عليها يا راضية، سبيها براحتها، أنتِ عارفه أنها متعلقة بجدتها وجدها، وهما هيبقوا قلقانين عليها طول الوقت، ومش هيقدروا يجوا يزوروها كل شوية، ودا كانت طلب جدتها أنها ترجع عندها، روحي معها كام يوم وارجعي.

ثم نظرت عالية نحو جيلان وهي تمسد خصلات شعرها قائلة:

وهي إن شاء الله هتقوم بألف سلامة، وترجع تنور بيتها ونقعد سوا أنا وهي نشوف مستقبلها.

لتنظر نحو سيد عبر المرآة وهي تُشدد على كل حرف:

-وهتنسى كل اللي حصل لها دا خالص، وبعد كدا هتاخد بالها من نفسها، ومعدش هتسكت على نفسها كدا لحد ما نوصل للعمليات، وإن شاء الله هتبطل أكل فاسد ومقرف، وإلا هي عارفه أنا هعمل فيها إيه!

تنهدت راضية بألم وأمسكت يد ابنتها تُقبلها، بينما نظر سيد لهما عبر المرآة وهو يشعر بشيء غريب في كلمات جارتهم ليسأل نفسه بقلق "معقول قالتلها حاجة!"

نفض هذه الأفكار من عقله، فلو أخبرتها شيئًا بالفعل لكانت ستعرف زوجته:

"لاء طبعا مش ممكن هتقول لوحده غريبة على اللي عملته، أكيد هتخاف أعمل في أمها حاجه"

وصلوا لبيت والدتها ونزل ثلاثتهم من السيارة، لكزت جيلان كتف

عالية حتى تذهب لتهديده كما اتفقا، ولكنها في اللحظة الأخيرة شعرت أنها لو تحدثت معه أو علم بمعرفتها بما يفعله مع الفتاة سيكون الوضع أسوأ.

هزت عالية رأسها نفيًا لجيلان التي ضمت حاجباها وهي تنظر نحوها لتغمز لها عالية ففهمت أنها ستخبرها بما تنويه فيما بعد..

صعدوا لشقة جدتها وكل واحدة منهم تُمسك بذراع لها وهي تستند عليهما حتى دلفوا للداخل، وجدت جيلان عائلة أمها تلتف حولها بحزن وخالتها الكبرى تعاتب أمها:

-ما قولتلناش ليه أنها هتخرج النهاردة يا راضية كنا جينا معاكي.. أنتِ مكلمانا وأنتِ في الطريق!

سلمت راضية عليها وهي تُقبل وجنتيها قائلة:

-معلش يا حبيبتي أنا مكنتش اعرف، عالية كانت جايه زيارة وسألت الدكتور هتخرج امتى قالها النهاردة لو حبيتوا، فقالتلي خلاص تعالي نروحها، كلمت سيد جه وصلنا وكتر خير عالية ما سبتناش.

رددت عالية بخجل:

-ما تقوليش كدا ياراضية احنا اخوات، وجيلان في معزة أولادي.

ثم استأذنت لترحل فنادتها جيلان من غرفتها بعدما أدخلوها بنات خالاتها لتدخل عالية بحذر وهي تقول:

-ما تخافيش كنت هاجي أسلم عليكي!

اقتربت منها تقبلها وهي تتمنى لها السلامة ثم همست في أذنها:

-متخافيش هكلمك أول ما أوصل أقولك على كل حاجة.

أومأت جيلان برأسها لترحل عالية وتتركها في آمان وسط عائلتها.

في مشوار عودتها حدثته عبر الهاتف لتقص له كل ما حدث مع الفتاة لتستشيره بالأمر وتعرف منه وضعها القانوني.

أجابها أخوها بغضب شديد مما سمعه:

-للأسف يا عالية كلام البنت صح ما فيش أي دليل عليه لازم يا إما تصوره أو تسجله وهو بيكلمها، لأن لو الرقم زي ما قالتلك مش بتاعه اللي مُسجل بإسمه سهل جدًا يكون خط مالوش أهل، ولو ليه هيبقى بعيد عنه، وببساطة هينكر أنه بتاعه وهيقول روحوا شوفوا مين بيعمل معها كدا، بالإضافة حتى لو تسجيل مرئي هيبقى صعب الاعتماد عليه من غير إذن نيابة لأنه أولًا وأخيرًا هو في بيته والمحامي هيطلع يقولك اقتحام خصوصية بدون إذن وهيطعن فيه بس احنا ممكن نستخدمه للضغط عليه عشان يعترف.

كادت عالية أن تُمزق خصلات شعرها وهي تدخل من باب شقتها الذي فتحته للتو وهي تصرخ به:

-يعني شهادة البنت مش كفاية! طب والدكتور وتقريره؟!

وقف أخوها يدور حول نفسه مما سمعه، وقد سيطر عليه الحنق الشديد مما يفعله بعض شياطين الإنس:

-ممكن تقرير الدكتور وشهادته تُضاف للقضية بس هيفضل إثبات أنه هو اللي عمل كدا ما فيش حتى ما فيش تحليل DNA " يثبت كلامها، مش كفاية يا عالية..

- هيطلع منها بمحامي تحت التدريب، حتى القضايا دي صعب إثباتها وأنتِ بتقولي حتى ما خلتوش الدكتور يثبت الحالة وقتها، ويكتب تقريره بتحليل من السائل المنوي الخاص بيه دلوقتي كل الأثار اختفت بعد العملية.

نزعت عنها غطاء رأسها، وهي تجلس على المقعد:

-قولتلك أمها كانت هتعرف، ولو عرفت هتموت، والبنت رفضت.. قولي حل سريع!

زفر بضيق وهو يهز رأسه قائلًا:

-قولتهولك..

يا تسجيل فيديو موضح اللي بيعمله، وتطلع بيه تعمله محضر رسمي، وتتفحص كليًا من خلال قسم الشرطة، ووقتها ممكن نضغط عليه يعترف قبل ما المحامي يلحقه في النيابة، يا إما يا تسجيل صوتي بيهددها فيه أو بيطلبها من خلاله، وممكن ينكر التسجيل الصوتي لو ما فيهوش اعتراف كامل، أو مش متسجل من رقمه، ويتهمنا برده باقتحام خصوصية من غير إذن نيابة هو اللي أنا هقوله هعيده!

ضربت عالية كلتا ركبتيها بكفها وقد احتقن وجهها بالدماء وهي

تصرخ به:

-يعني بت لسه معديه ال ٢٠ سنه لسه خارجه من عملية بسبب القذر دا واللي عمله فيها أقولها لازم ترجعي تستدرجيه وتخليه يئذيكِ ويموتك تاني عشان تسجليله فيديو صوت وصورة، وبعدين تطلعي بيه على القسم تديهم الفيديو وتعملي محضر وتطلعي على دكتور من الصحة ياخدوا عينه من قذارته ويكشفوا عليكِ ويعروكِ وتتعرضي لكّم الوسا×× دي عشان تثبتي إن في حيوان مع اعتذاري للحيوانات قرر أن ينتهك عرضك ويمارس معاكي الجنس بطريقة وحشيه غير آدمية ومُحرمة عشان ما يتكشفش.. فيمرضك ويجيبلك سرطان عادي، وفي احتمال انه يطلع منها بالتحايل كمان..

مش مهم بقى أنتِ في داهيه جسمك ونفسيتك اللي هنفضل نعالجك منها سنين المهم تثبتي حقك.

تصاعد غضبها لذروته، وقذفت بهاتفها أرضًا تحطمه وهي تلعن وتسب كل شيء بصراخ شديد وهي لا تدري أنه يقف خلف باب الشقة يستمع للمحادثة من بدايتها:

-ملعون أبو دي قوانين وملعون أبو دي بلد، وملعون أبو دي عيشة، وملعون أبو الرجالة كلهم..

سمعت طرقًا على باب الشقة فلم تتريث من شدة ثورتها لتعرف من الطارق..

انطلقت بضع خطوات لتفتحه وعيناها محتقنان بالبُغض، بينما جسدها يرتعد بحرارة من كثرة الهياج لتشهق بفزع حين رأته واقفًا أمامها وقبل أن تُبدي أي ردة فعل كان يدفعها للداخل وبيده سلاحه الأبيض ليغلق باب الشقة خلفه وهو يقول لها:

-نتفاهم ونتفق ولا أقطع عرق وأسيح دمه!

*****

ارتدى أخوها ملابسه على الفور وصعد لسيارته وقد تملك منه الغيظ فأخته لم تصل لقمة هذا الغضب من قبل، يبدوا أنها لم تكن استشارة بريئة.. هناك شيء لا يعرفه!

مؤكد أن هذه الفتاة قريبة منها ولذلك يجب عليه مساعدتها في هذه المحنة، ففي النهاية ما تعرضت له من انتهاك فوق طاقة بشرية ومن فعل بها ذلك يجب أن يدفع الثمن غاليًا.

تعطل قليلًا في زحام الطريق المعتاد في هذه الساعة من النهار وعقله يُفكر في أكثر من حل قانوني كي يوقع بهذا الشيطان ليصل بيت أخته بعد نصف ساعة ويزيد.

طرق الباب فلم يتلق إجابة، فأخرج هاتفه وقام بالاتصال بها ليتأكد من وجودها في المنزل فوجده مُغلق، تسارعت دقات قلبه حين سمع همهمات تصل لأذنه من الداخل، دفع الباب بقوة جسده لينفتح على مصراعيه.

جحظت عيناه حين وجد أخته تفترش الأرض وهي تستند على الحائط بجسد مُتصلب وعينان مثبتتان أمامها وكأنها تعاني صدمة ما..

ركض نحوها بذعر يتفحصها وهو يردد اسمها:

-عالية مالك يا عالية ردي عليا!

حدقت به بتيه وحزن شديدين فأمرها برقة:

-طب قومي معايا!

جعلها تستند عليه ثم خطى بها نحو الأريكة ليساعدها كي تجلس براحة ثم ركض نحو المطبخ ليأتي لها بكوب من الماء لتشربه هي ببطء حتى أنهته.

أخذه من يدها فارغًا ثم التفت لها يتسأل:

-إيه اللي حصل خلاكِ تغضبي قوي للدرجة، ومين البنت دي اللي هتموتي نفسك عشانها من الزعل كدا؟

أجابته بقهر:

-بعتبرها زي بنتي، بنت بريئة ومتربية ومالهاش حيلة وقعت في إيد كلب.

التفتت نحوه تنظر إيه وهي تُكمل:

-تعرف إنه سمعني وأنا بكلمك وبعد ما رميت التليفون من عصبيتي لقيت الباب بيخبط ومن غير ما أسأل مين دخل عليا بالمطواه.

جحظت عينا أخوها لينتفض قائمًا وهو يردد:

-فين ابن الك×× دا وأنا أطلع مي×× اللي خلف××

أمسكت بيد أخيها لتجعله يجلس ثانية وهي تطمئنه:

-ما تخافش دا جبان ما يقدرش يعمل حاجه،

أنا بمجرد ما اتكلمت بس بصوت عالي حط مطوته مكانها ووقف على باب الشقة طردته طبعا وشتمته بكل الألفاظ الحية والميتة، وقالي إنه مش هيجي ناحية البنت تاني، بس أنا اسكت وما اعملش مشاكل، وطبعا عشان عارف إنه مش هيحصل اداني تليفون عليه صور وقالي شوفيها وخرج لما شتمته تاني.

نظر نحوها باهتمام وهو يطلب منها أن تريه الهاتف إلا أنها أبت قائلة:

-الصور كلها للبنت وهي عريانه في أوضاع مُخله بيحاول بيها يفهمني أن هي اللي كانت بتغريه.

ضم أخوها حاجبيه بتعجب:

-طب ما يمكن كلامه صحيح!

رمقته بنظرة فهمها على الفور وهي تقول:

-وأنا بقى هبله مش هعرف الصور الحقيقية من المزيفة!

سألها باهتمام:

-فوتوشوب تقصدي!

هزت رأسها نفيًا وهي تجيبه:

-لاء هي بس كل الصور هي فيها نايمه ومغمضه عينها يعني لا حاسه

بحاجة ولا شايفة حاجه وعلى الأغلب كان بيغمي عليها يا حبيبتي من اللي بيعمله.

ترقرقت الدموع بعينيها وهي تخبره بحسرة:

-أنت ما شوفتهاش كانت صبية تقول للأرض اتهدي ما عليكي قدي من جمالها وحلاوتها ورقتها وأدبها زي ما بيقولوا بنت ناس، الفترة الأخيرة يا حبيبتي بقت جلد على عضم، ووشها أصفر طول الوقت وعينها داخله لجوه وحالتها تصعب على الكافر.

مسكت يد أخوها بتعلق ورجاء:

-ما تلبسه تهمه ينوبك ثواب، وتدخله السجن ونخلص منه!

بانت أمارات الأسى والغم على وجه أخيها وهو يفكر:

-أنا ممكن اشده بألف حجه وعلقتين محترمين هيعترف، لكن شغل ألبسه تهمه دا أنا ما بعملوش وأنتِ عارفه أنا رجل قانون مش بلطجي.

اقتربت منه بوجهها أكثر، وقد طوعت ملامحها ببراءة ولوعة وهي تتطلع نحوه قائلة:

-طيب ما تتجي نبعده عن البنت بطريقتك..

برزت عيناه من حدقتها وهو يهز رأسه ليعلو صوته قليلًا:

-أنتِ اتجننتي يا عالية.. لاء طبعًا أنتِ عارفه أني مستحيل أعمل كدا.

وقبل أن تُكمل رجائها وقف ليُغادر برفض قاطع وهو يقول لها:

-انسي الموضوع دا خالص.. وعامة أنا هشده وأعلمه الأدب عشان

قرب من بابك بس، وهحاول أضغط عليه يعترف على اللي بيعمله في بنت مراته، وهاضغط عليه يمسح صورها، إنما أكتر من كدا ما اوعدكيش، قانونًا ما فيش أي حاجة ضده لحد الآن، وهقولهالك تاني أنا أولًا وأخيرًا رجل قانون يا عالية..

زفرت بضيق فهذا هو أخوها الوحيد الذي يتمسك بالعقل والمنطق في كل حياته لكنها واثقة أنه سيساعد الفتاة بقدر ما أمكنه.

اطمأن قلبها قليلًا فجيلان في آمان الآن، وهذا الرجل الذي يستحق الموت بأبشع الطُرق قد وعدها أنه لن يقترب منها ثانية وهذا ما يُهم، أما عما فعله خلال السنة الفائتة فلابد أن يُعاقب عليه..

رفعت كلتا يديها للسماء وهي تدعوا اللّه أن يعترف بفعلته أمام أخيها كي ينال عقابه، ولكنها تركت يدها تسقط وهي تغتم بفكرة صديقتها التي لو عرفت بالأمر ستموت حتمًا، ولكنها يجب أن تُنقذ الفتاة بأي ثمن.

لملمت هاتفها من فوق السجادة الكبيرة وهي تجمعه كما كان لتهاتف جيلان التي تنتظرها منذ أن عادت..

*****

وصل أخوها مكتبه ليجلس على مقعده مُخرجًا هاتفه من جيبه ليتحدث مع مُخبره المُفضل:

-أيوه يا فتحي!

-سعادة الباشا الكبير.. أؤمرني!

ضيق عينيه بتركيز ثم أمره:

-ركز معايا يا فتحي.. فيه واحد حبيبنا عاوز أشده!

أجابه فتحي بإنصات وهو يضع كوب الشاي من يده، ثم قام من مقعده وهو يلكز "القهوجي" ليبتعد من أمامه:

-اللي تؤمر بيه يا باشا، إسمه وعنوانه وهجيبهولك بقضية أو على الأقل مخالفة معتبرة تقعده ضيف عندنا كام يوم.. أديني بس يومين..

أغلق مع فتحي وهو يشعر بالضيق مما يفعله، فهو لم يكن أبدًا من هذا النوع، ولكن فتاة صغيرة تحتاج المساعدة وهو لن يتوانى عن أن يكون سندًا لها حتى تسترد ولو جزءًا من حقها الذي انتهكه هذا المُجرم ففي النهاية هذا هو العدل..

*****

صرخت جيلان صرخة مكتومة من غيظها وهي تردد:

-يعني إيه يا طنط، خلاص هيفلت منها ولا كأنه وراني العذاب ألوان لمدة سنة.

حاولت عالية تهدئتها وقد أثرت في نفسها أمر صورها التي معه:

-اهدي بس يا حبيبتي إن شاء الله هنلاقيله حل، متضايقيش بس نفسك..

انهمرت دموعها بحُرقة:

-حل إيه بس.. مالوش حل خلاص ربنا ينتقم منه!
ثم مسحت دموعها بحدة لتُكمل:
-بس أنا مش هسيبه يعيش يوم واحد بعد النهارده متهني.. أقسم بالله لأعذبه سنه زي ما عمل فيا..
ثم أنهت المحادثة بالضغط على زر الإغلاق، وقامت من فراشها تتكئ على أطرافه فهي لا تستطيع المشي بشكل سليم بعد.
ظلت تذهب لباب الغرفة وتعود لموضعها على الفراش وقد هاج صدرها وفارت دماؤها وهي تتوعده ولا تعرف ما الذي تسطيع فعله لتأخذ بثأرها ولكنها مؤكد ستفعل أي شيء.. لن تتركه.
كررت الكلمة على مسامعها عدة مرات وقد استقر الشيطان بعقلها لتُدبر له من المكائد أشياء لا تعرف كنهها أبدًا، ولكن من كثرة الغضب وصلت لطريق نهايته القتل، ولكنها هزت رأسها نفيًا قائلة:
" أقتله ازاي هي سهلة كدا ما أنا هروح في داهية، وكل الفترة اللي فات اللي اتحملت فيها العذاب دا عشان أمي هتروح على الأرض وكل حاجه هتتكشف يبقى أنا استحملت كل دا ليه"
تعبت من كثرة التفكير، وارتمت على فراشها تحاول النوم الذي تهرب منه من كثرة الكوابيس التي هو في جميعها، ينظر نحوها بعينيه السوداوتين المليئتين بالشهوة، ويبتسم لها ابتسامته المُقززة التي تُشعرها بالغثيان، ويشير إليها لتأتي إليه وكأنه شيطان جاء ليجعلها

ترى الموت وتتمناه، ولكنه يهرب منها على آخر لحظة..

ذنوب كفرت عنها مُسبقًا من قبل أن تفعلها، لعله كان اختباراً لإيمانها، ولكنها حقًا لا تعرف النتيجة ولا السبب، كل ما تعرفه الآن أنها تستحق حياة أفضل، ولن تحصل عليها وهذا الحيوان يعيش ويأكل ويتمتع بحياته، يجب عليه أن يدفع الثمن غاليًا..

*****

مر اليومين ليأتيه فتحي ومعه اثنان من المخبرين واثنان من العساكر يجران سيد أمامها؛ بينما يلكزه العسكري بسلاحه مرارًا وهو ينهره:

-مد شويه يا مُتهم أنت مش ماشي في فرح أمك!

تصاعد غضب سيد وهو يزعق:

-أنا مش متهم ومعملتش حاجة وهوديكم كلكم في داهية!

تلقى صفعة أسفل رأسه من الخلف، التفت لها كل من في القسم لتجحظ عيناه من المفاجأة، وقبل أن يتحدث تلقى أخرى من يد فتحي الكبيرة، وهو يقول له:

-وطي صوتك يا روح أم× وعاوزين نبقى نشوف هتودينا في داهية ازاي.

دخل العسكري يستأذن بالدخول فاعتدل ينتظره، وهو يحاول ضبط مشاعره حتى لا يقتله مما فعله مع الفتاة وترويع أخته.

أشار للعسكري برأسه ليدخل سيد وهو يصرخ:

-أنا عاوز أعرف أنا هنا ليه، ومجرجرني عشان إيه!
تلقى صفعة ثالثة جعلته ينكفئ على وجهه أعلى المكتب لتطن أذناه من قوتها، وهو يسمع صوت فتحي الضعيف يسبه بأبشع السباب ويحذره:
-لو صوتك علي في مكتب الباشا تاني هفلقك نصين!
حاول أن يقف ولكنه اهتز بجسده من كثرة الضرب والإهانة ليشير لهم الضابط برأسه، ففهم الجميع وخرجوا من المكتب، قام من مقعده ليقترب منه واضعًا يده على كتفه ضاغطًا بقوة جعلت سيد يجلس على المقعد عنوة وهو يقاوم البكاء مما حدث له:
-اقعد يا سيد أقعد!
نظر له سيد بغيظ ليجلس الضابط على المقعد أمامه ويُقربه منه قائلًا وهو ينظر للكدمات على وجهه وشعره المُشعث وملابسة الرثة:
-إيدهم كانت تقيلة شكلها!
حاول سيد التمسك ببعض القوة وهو يهدده:
-إنتوا مش عارفين أنا ممكن أعمل إيه!
ضحك بصوت مرتفع وهو يستند على ظهر مقعده متسائلًا باستهزاء:
-هتعمل فينا إيه!
ثم اقترب من وجهه يضيق عينيه وهو يتفحصه:
-أوعى تكون بتفكر تعمل فينا اللي عملته في بنت مراتك!
اتسعت حدقتا سيد وانعقد لسانه ليُكمل:

-ولا تكونش هتدخل علينا تهددنا بالمطواة زي ما عملت مع عالية!

أمسكه من قميصه يُقربه إليه بعنف، ليلكمه بقوة جعلت الدماء تنساب من فمه:

-أختي..

شهق سيد بفزع، وعدل رأسه وهو يجفف دمائه بطرف ملابسه، ثم قرر أن يلتزم الصمت، بعدما عرف وضعه ليقول له بأنفاس لاهثة:

-أنا مش هتكلم إلا في حضور المحامي بتاعي!

عاد الضابط ليجلس موضعه خلف المكتب وهو يصك أسنانه بغيظ قائلًا:

-ااه المحامي بتاعك!..

هو يعرف جيدًا أنه لا يوجد ادعاء رسمي من الفتاة، ولا من أخته بما فعله معهم، كل ما يمتلكه محضر مشاجرة سينتهي بالتصالح بين الطرفين.

ضغط على جرس بجواره فدخل العسكري ليطلب منه أن يأتيه بقهوته، ثم التفت لسيد قائلًا:

-يعني مش عاوز تعترف باللي عملته في البنت، وعاوز تقعد معنا هنا كام يوم!

نظر له سيد بحنق شديد وهو يسأله:

-هفضل كام يوم بأي تهمة.. ولا هي سايبه!

ابتسم له مرددًا:

-لاء مش سايبة يا سيد، بس واحد بره عامل فيك محضر أنك ضربته وشوهت وشه من غير سبب.

أخرج سيد بطاقته من جيبه ليضعها على مكتبه قائلًا:

-وماله نفتح محضر وخد أقوالي، وهدفع للراجل اللي بره دا ترضية، ونتصالح وكل واحد يروح لحاله.

دخل العسكري بفنجان القهوة ليضعه أمامه فأمسكه يرتشف منه وهو يقول له بمكر:

-مش لما هو يرضى يتنازل.. المحضر خلاص اتعمل يا سيد وفاضل أقوالك ويطلع بكرة على النيابة، دا إن اصريت أنك ما تصارحنيش ونتفق..

أدار سيد وجهه قائلًا:

-كل اللي بتقوله تلفيق.. وهيبان بكرة في النيابة

ضغط على الزر وهو يزعق:

-خدوه على الحجز تحت وأكرموه دا ضيفنا النهارده..

*****

يوم نتيجة ظهور تحليل الورم

يوم عصيب انتظروه بفارغ الصبر، والقلق يأكل الجميع دون هوادة، نظرت راضية لساعتها بانزعاج، فزوجها لم يتواصل معها منذ يومين،

ولا تعرف لماذا، ولكن الآن عليها أن تهتم بشأن ابنتها التي تنتظر مصيرها بضيق في التنفس، على الفور لاحظته أختها الصغرى، فركضت تأتيها بالدواء اللازم، فالتف الجميع حولها الكل يُربتُ على ظهرها ويحتضنها هي وجيلان مطمئنين إياهما بقدر ما استطاعوا، خافين مشاعرهم الحقيقة من الاضطراب، متمنين من الله أن ينجي فتاتهم الحبيبة.

رن هاتف راضية لتلتقطه على الفور فسحبته منها أمها كي تتلقى هي الخبر أيًا كان فلن يتحمل قلب ابنتها الكبرى ما سيقوله الطبيب.

أجابة الجدة ليُخبرها الطبيب:

-للأسف يا مدام النتيجة إيجابية!

تماسكت الجدة بقدر ما استطاعت ليُكمل الطبيب:

-بس اطمني! الكانسر في مرحلته الأولى، يعني هتاخد جلسات وإن شاء الله هتبقى زي الفل، أنا عملت حسابي على النتيجة دي عشان كدا شيلت كل الأجزاء فيها أورام وحتى اللي كنت شاكك فيها استأصلتها، الموضوع بسيط بأمر الله والحالة مطمئنة جدًا..

شكرته الجدة واغلقت الهاتف لتُخبرهم الأمر بشكل بسيط، وفيه من التفاؤل والأمل ما جعل الصدمة هينة قليلًا، ولكن الوضع لم يمُر دون بكاء شديد من الجميع، مع رفع الطاقة الإيجابية لدى جيلان التي لم تزرف ولو دمعة واحدة، بل تلقت الخبر بصدر رحب على غير عادتها،

لتزيدها المُعاناة إصرارًا على أخذ الثأر ولكن الكيفية لم تصل إليها بعد، ولكنها ستستغل كل هذا الوقت في التدبير والتفكير والتخطيط، بعدما تصل فقط لطرف الخيط..

*****

خرج من مقر النيابة العامة يتبعه محاميه ليصعد سيارته تاركًا المحامي يقوده نحو المنزل، وهو يخبره:

-أنا بعت اسم الظابط للباشا الكبير، ووعدني أنه هيعمل معاه الواجب.

لم يُعقب على حديثه وهو يطالع هاتفه ويُمرر أصابعه على صور جيلان العارية ليُكمل المحامي:

-بس هما بيقولوا إن الظابط دا كفء، ومن أشرف الظباط في المديرية فهيبقى نقله وتأخير تريقته صعب شوية بس أنا مش عارف هو عمل معاك كدا ليه.

ضيق سيد عينيه وهو يضع الصور على إحدى المجموعات الرجالية المفتوحة على مواقع التواصل الاجتماعي من خلال تعليقات المنشورات بحساب وهمي لا يصل إليه بأي شكل، حتى الهاتف يخص شخصًا آخر ابتاعه منه منذ عدة أيام بعدما جابهته جارته فأخذه للاحتياط كي يهددهم بنشر الصور وقد جاء وقت الحساب.

ضغط زر التعليق وهو يقول بهمس:

-بس أنا عارف..

ثم أخذ روابط المنشورات ليبعثها في رسالة من نفس الحساب لعالية وترك في نهايتها نصًا جعلها تلطم خدها بذعر:

-إنتي اللي بدأتي أنتِ والمحروس أخوكِ ما ترجعوش تعيطوا.

ثم أغلق الهاتف وقذف به من خارج السيارة ليتلقفه أحد المتسولين بفرحة عارمة..

على الفور هاتفت عالية أخوها وهي تصرخ له:

-الحقني نزل صور للبت في مجموعات على الفيس..

وقف أخوها بغضب وهو يسبه قائلًا:

-ابعتيلي الروابط وأنا هجيبه من قف× أم××

أرسلت له الروابط ومعها رابط الصفحة التي نشر الصور منها لينطلق أخوها على الفور تجاه مباحث الأنترنت لأحد زملائه كي يأتي به وهذه المرة لن يتركه يفلت منه.

*****

تحدث سيد مع زوجته ليُخبرها أن هاتفه قد وقف وهو في سفريته التي مكث بها عدة أيام في مدينة نائية، ولم يستطع التواصل معها خلال هذه الفترة، وقد أعرب عن حزنه الشديد الذي وصل لحد البكاء المزيف، حين أخبرته بنتيجة تحاليل ابنتها وما ستعانيه في الفترة القادمة.

وترجته أن يتركهما عند والدتها لأن ابنتها تحتاج لدعم الجميع، كما أخبرها الطبيب أن حالتها النفسية المستقرة ستكون لها السبب الأكبر في شفائها، بالطبع أذن لها ولكنه وبهمس وحزن سألها:

-أنا عارف أنه مش وقته الكلام في الموضوع دا يا حبيبتي، بس كنت عاوزه أسألك على التوكيل الرسمي اللي وعدتيني هتعمليه.

أجابته بحب:

-طبعًا يا حبيبي عملتلك التوكيل واستلمته من يومين، أنا عارفه أنك محتاجة عشان تخلص شغلك..

أخفى ابتسامته الفَرحة وهو يقول لها:

-هاجي بليل أشوف حبيبتي وبنتي وابقى أخده منك!

ابتسمت له رغم حزنها، وأنهت المحادثة لتلفت خلفها فوجدت ابنتها تقف جاحظة العينين بصدمة وهي تردد:

-توكيل إيه يا ماما!

اقتربت منها راضية تضم كلتا كتفيها بحنان مجيبة:

-توكيل رسمي بفلوسنا اللي في البنك والعمارة..

عملته لبابا سيد عشان أنا معتش عارفة أخد بالي من موضوع الإيجارات دا وكمان هو كان محتاج قرشين عشان يكبر مشروعه.

ابتلعت جيلان لسانها ليقف الكلام في حنجرتها، وقبل أن تنفجر بوالدتها التي لم تعتد أن تحدثها بصوت مرتفع أو حتى تراجعها في

قرار نزعت يد أمها من على كتفيها وعادت لغرفتها وقد ازداد غضبها أضعافًا.

لقد استولى الرجل على جميع أملاكهم، وهي تقف عاجزة تشاهد ما يفعله فقط..

شعرت راضية أن ابنتها غاضبة منها مما فعلته، هي بداخلها خائفة على أموالها وأموال ابنتها، لكن الرجل يؤتمن، وبالفعل هي تأتمنه على حياتهما، فهل ستخونه في بضعة أموال.

لقد اتخذت هذا القرار بعد عدة سنوات عاشرته بها وتأكدت من أنه جدير بالثقة، راجعت نفسها قليلًا ولكن الأوان قد فات لن تستطيع أن ترفض إعطائه التوكيل.

لامت نفسها على عدم أخذ رأي ابنتها في الأمر ولكنه الفتاة تحمل ما يكفيها ويزيد. نظرت نحو الساعة فوجدتها اقتربت على الثامنة صباحًا، خطت نحو غرفة ابنتها بحزن شديد لتُخبرها أن ميعاد الجلسة الأولى قد اقترب...

*****

رحب به صديقه بحفاوة:

-باشا البشوات فينك يا جدع ولا احنا خلاص مبقناش قد المقامات.

صافحة بقوة وجلس على المقعد المقابل لمكتبه قائلًا:

-ودي تيجي برده يا عماد باشا دا أنت الأصل!

ضحك عماد وطلب فنجانان من القهوة وهو يسأله:

-شكلك جاي في شغل!

ناوله الهاتف الخاص به وهو يقول له:

-عاوز أجيب ابن الك×× دا!

هز عماد رأسه ورفع سماعة الهاتف الداخلية وهو يخبره:

-نجيبه يا باشا ونعلمه الأدب، بس قولي أنت تعرف البت دي ولا حالة انسانية!

اجابه الضابط المختص بفحص الحسابات ومعرفة هوية مالكيها ليأمره عماد بأن يأتيه ليفحص أحد الحسابات ويتتبع الهاتف كي يصل للفاعل وهويته، ثم وضع السماعة الداخلية وهو يقول لصديقة:

-على ما نشرب القهوة يكون جالنا الخبر.. بس قولي مين البنت دي..

نظر نحوه برجاء قائلًا:

-قبل ما أقولك عاوز الصور دي تختفي بسرعة وتتمسح

طمأنه عماد:

-ما تخافش يا باشا اعتبره حصل..

أومأ برأسه وهو يقص عليه قصتها المأساوية...

*****

أنهت جلستها الأولى وظلت في الغرفة عدة ساعات حتى أمرها الطبيب بالخروج، خرجت تستند على أمها وخالتها بهزل ومرارة لا تفارق

حلقها، ولكن كل ما تعانيه الآن لا يعادل لحظة واحدة من انتهاكها من قِبل هذا القذر.

حاولت التماسك أمام أمها التي تعاني بشدة من أنفاسها الثقيلة ولم تترك الدموع وجنتيها منذ دخلوا هذا المركز، لم تستطع جيلان الاستمرار في المشي فاقترحت عليهم الطبيبة أن تجلس قليلًا في حديقة المبني وعلى الفور أعطت لها كرسيًّا متحركًا ليساعدها أقاربها لتجلس عليه ويدفعوها ببطء للخارج.

مكثت في مكان منعزل قليلًا في حديقة المبني والكل حوالها يحاولون التخفيف عنها، لمحت سيدة تبدوا صغيرة في السن ترتدي ملابس ذات ماركة معروفة ويبدوا عليها الثراء، ترمقها من بعيد وبنظرات متفحصة وواضحة.

لفتت هذه السيدة نظرها رغم شعورها بالتعب الشديد إلا أن فضولها جعلها تسترق النظر نحوها لتجدها مازالت تحدق بها بغرابة، بضعف شديد مالت على ابنة خالتها الملاصقة لها قائلة:

-شايفه الست الغريبة اللي هناك دي!

رفعت سيلين رأسها لتدور به حول الجالسين في الحديقة فأخبرتها جيلان بنهجان واضح على صوتها:

-اللي لابسه فستان أسود هناك دي وطرحه كبيرة بيج!

وقعت عين سيلين على السيدة التي مازالت ترمق جيلان بنظرات

واضحة وجريئة للغاية، حينما شعرت السيدة بأن الفتاتان لاحظاها وقفت تخطو نحوهم لتقول لها سيلين بقلق:

-الحقي يا جيجي دا جاية علينا!

أومت جيلان برأسها وهي تهمس بثقل حروفها:

-خلينا نشوف مالها دي.

اقتربت تتحني نحو جيلان فوقفت أمها وخالتها أمام السيدة يسألونها بتعجب:

-في حاجة يا مدام!

بينما تحدق بها جيلان وهي تشعر نحوها بشيء غريب، ابتسمت السيدة بلطف وهي تقول لهم:

-هقول للصغنونه دي حاجة بس!

رفضت راضية بعدما شعرت بالخوف تجاهها، بينما حاولت جيلان الوقوف بصعوبة لتلحق بها سيلين تسندها وهي تقول:

-سيبيها يا ماما!

نظرت راضية نحو ابنتها بدهشة وتنحت جانبًا لتقترب السيدة من أذنها وبصوت خافت أخبرتها:

-أنا عارفة كل اللي حصلك، وعارفه أن سيد هياخد النهارده كل الفلوس اللي تملكوها، وبعد أسبوع واحد هيبيع كل أملاكم بإسمه، وهيرميكم أنتِ ومامتك في الشارع. الظابط أخو جارتك مش هيعرف

يوقفه عن طريق القانون، وهو عارف كدا كويس ولو مش مصدقاني روحي اسأليه، ما فيش إلا طريق واحد ومالوش تاني، لو عاوزه تعرفيه روحي العنوان اللي هتلاقيه في جيبك بعد ما حالتك الصحية تتحسن.

حاولت جيلان ضبط انفعالاتها التي تتأرجح من الحيرة للذهول، بينما أمها وخالتها وابنتها يراقبونها عن كُثب لتُكمل السيدة:

-تحاليلك غلط أنتِ ما عندكيش كانسر، ومش محتاجه كيماوي، قولي للدكتور بتاعك يعيد التحليل وعشان تبقي كويسة أدهني جسمك زيت زيتون قبل ما تنامي، وفي وصفة كمان هتلاقيها مكتوبة ورا العنوان اعمليها النهاردة ولمدة تلات ليالي، والليلة التالتة هتصحي منها زي الفل..

ثم التفتت لترحل بخطوات بطيئة، وهي تقول لها:

-ما تتأخريش كل يوم بيعدي محسوب عليكِ.

ظلت ساهمة لفترة، وكل حرف نطقته تلك السيدة يُعاد على مسامعها متجاهلة أسئلة الجميع عما قالته لها، لتجعلها في هذه الحالة الغريبة.

فاقت على يد أمها على وجهها وهي تناديها لتنظر سريعًا لأثر السيدة فلم تجد لها أثر وكأنها تبخرت. ضيقت عينيها قائلة:

-عاوزه أرجع للدكتور تاني!

زفرت راضية بضيق:

-يا بنتي فهميني الست دي قالتلك إيه!

شددت على حروفها بانزعاج واضح:

-يا ماما لو سمحتِ رجعيني للدكتور!

لم تجد سبيلاً إلا مرافقتها، فعادوا للطبيب الذي أخبرته أن يعيد تحليل العينة، فتعجب من طلبهم، ولكنه لم يعترض وخاصة أنه مازال يحتفظ بها ولا يعرف لم، فهو في العادة يتخلص من العينات فور ظهور النتيجة.

وعدهم أنه في خلال أيام قليلة وقبل ميعاد الجلسة الثانية ستكون النتيجة بين يديهم، عادوا للمنزل وطلبت جيلان من الجميع أن يتركوها ترتاح بمفردها، وضعت يدها في جيب بنطالها فوجدت الورقة التي تركتها السيدة، العنوان في أحد الجهات وفي الجهة الأخرى وصفة مُفصلة بطريقة الاستخدام الصحيحة مع بعض التوجيهات للوقت المُحدد.

أمسكت بهاتفها لتتصل على عالية التي أجابتها على الفور قائلة:

-شوفتي اللي عمله الكلب دا في أخويا يا جيلان!

احتقن وجه الفتاة بالغضب وهي تسألها:

-عمل إيه يا طنط تاني!

جلست عالية على فراشها، بعدما أغلقت باب الغرفة عليها:

-كلم حد من معارفه ينقله من القسم، ويوديه آخر الدنيا، ويوقف ترقيته ويضيع مستقبله.. منه لله!

اغرورقت الدموع بعيني جيلان وهي تعتذر لها:
-أنا آسفه والله أني كنت السبب في أذيته!
تنهدت عالية بألم وهي تلوم نفسها، فيكفي ماهي فيه من الهموم، فرجعت سريعًا برفق تقول لها:
-يا حبيبة قلبي ولا يهمك، ما تقلقيش أخويا برده مسنود، وهيقدر يتصرف!
-المهم طمنيني أنتِ عنك، أنا اللي آسفه أني دخلت عليكِ كدا بالأخبار الوحشة ومسألتكيش أنتِ عاملة إيه.
جففت جيلان دموعها وهي تخبرها:
-كانت أول جلسة كيماوي النهارده الصبح، الحمد لله يعني دلوقتي أحسن شوية.
شهقت عالية وهي تضرب صدرها بغضب من نفسها وتأسفت لها بندم شديد لتوقفها جيلان:
-يا طنط ما فيش داعي للأسف! أرجوكِ أنا كنت عاوزه أحكيلك على حاجة مهمة حصلت النهارده بس قبل ما احكيلك أنتِ تعرفي إن ماما عملت للقذر دا توكيل عام بكل ما نملك!
لطمت عالية خديها وهي تولول بصراخ:
-أمك اتجننت يا جيلان طب والحل دلوقتي القذر دا هياخد كل حاجه ويرميكي أنتِ وهي في الشارع.

هزت جيلان رأسها بأسى وحزن شديدين وهي تجيبه:

-هو دا اللي قالتهولي بالظبط الست في المستشفى

جلست عالية ثانية بعدما وقفت تدور حول نفسها من الانفعال لتتسأل:

-ست مين!

أجابتها جيلان:

-ماهو دا اللي عاوزه احكيلك عليه من الصبح، اللي حصل وأنا قاعده......

*****

بعدما سمعت عالية ما حدث استأذنت زوجها على الفور وانطلقت نحو بيت جدة جيلان بحجة الاطمئنان عليها، وصلت عالية بالأغراض التي أخبرتها بها جيلان في الوصفة، وجلسا الإثنان في الغرفة يفعلان ما أمرتهما به،ومرت الليلة الأولى والثانية وجاءت الليلة الثالثة..

كانت جيلان تحاول التعافي سريعًا، حتى تستطيع الذهاب للعنوان الموجود في الورقة لتعرف ما الذي ستفعله مع زوج أمها كي تسترد حقهم كاملًا، تلكأت عالية قليلًا قبل أن تخبرها بأمر صورها على هاتفه، وأنها قام بنشر أحدهم على مواقع التواصل.

سقطت دمعة خائنة من عينيها، ولكنها تماسكت على غير عادتها وهي تقول لها:

-تصدقي يا طنط معتش بتأثر، أنا حاسه أن قلبي ومشاعري كلهم

ماتوا خلاص.

توقفت عالية عما كانت تفعله، واقتربت منها تُمسد شعرها بحنان شديد:

-خلينا نعتبره كابوس وقرب يخلص، وهتصحي منه زي الأول واحسن، أوعي يا جيلان تخلي حد يسرق إنسانيك أو قلبك الطيب أو حتى مشاعرك البريئة أبدًا.

رفعت جيلان زاوية فمها بتهكم واضح:

-بريئة!

تركتها عالية بأسى كبير والتفت لتنهي التجهيزات التي ما إن ظهر القمر ينير السماء حتى بدأت جيلان في فعل كل ما هو مدون بالحرف حتى أنهته مع ظهور خيوط الفجر بين السُّحب.

لم تتركها عالية وقد ظلت معها هذه الليالي رغم تعجب راضية من تقربها الزائد من ابنتها، وعلى عكس شخصية ابنتها الخجولة التي لم تجعل أحدًا من قبل أن يبيت معها في غرفتها إلا أنها هي من استدعتها، وظلت تتوسل لها لتظل معها هذه الأيام الثلاثة.

نامت الاثنتان بإرهاق شديد، لتستيقظ جيلان بنشاط كبير لم تشعر به منذ سنة ويزيد، نهضت من الفراش لتجري نحو مرآتها، نظرت لانعكاسها في المرآة وارتفع صوت شهقتها العالية لتستيقظ عليها عالية وهي تفرك عينيها بنعاس قائلة:

-مالك يا جيلان؟

نزعت أصابعها من على عينيها وهي تتثاءب لتقف جيلان أمامها بضحكة مرحة، فجحظت عينا عالية وهي تضع يدها على فمها، بينما تشد ملامحها أجمعها بانشداه وهي تقف تحسس وجه جيلان وجسدها وهي تردد:

-إيه الي حصل دا!

تقافزت جيلان بمرح لما تستشعره منذ أن فقدت براءتها على يد ذلك العاهر، وهي تقول لها:

-مكنتش بصدق في الجنيات يا طنط! الظاهر كدا جاتلي جنية الأحلام بليل رجعتني تاني لجمالي.

كانت تبتسم بفرحة كبيرة على حال الفتاة التي تبدل في بضع ليالٍ، ولكن كلمة جيلان عن الجنيات سقطت في قلبها ليتهجم وجهها قائلة:

-جيلان أنا كان المفروض قبل ما نعمل حاجة من دي نتأكد الأول.

أمسكت جيلان بكفي عالية وهي تقول لها بسعادة:

-نتأكد أكتر من كدا إيه يا طنط، أنا مش مصدقة أني بقيت أتحرك طبيعي، أنا بقالي سنه مش عارفة أمشي كويس ولا عارفة أقعد ولا عارفة أنام على ضهري.

اغتمت عالية من حديث الفتاة الموجع لتُكمل جيلان وهي تدور حول نفسها ببهجة:

-أنا متأكدة إن ربنا بعتلي الست دي عشان تنقذني!
ثم توقفت وهي تُخرج ملابس لها من الخزانة قائلة:
-أنا هحضر نفسي وأروح حالًا للعنوان اللي سابتهولي مش هضيع ولا لحظة تانية، وهعمل أي حاجة عشان أخد حقي من الحيوان دا..
أحست عالية بشعور سيء حيال ما حدث، فقامت تبحث عن هاتفها في الحقيبة لتُخرجه وهي تنظر نحو باب الحمام المُغلق خلف جيلان لتبتعد قليلًا عن مسامعها قبل أن تتصل به.
أجابها أخوها بضيق ليقص لها ما يعايشه من أذى بسبب هذا الرجل عديم الشرف، بعدما أبلغ عنه وجعل محاميه يطعن فيه أمام أحد المسؤولين أنه تعرض للتعذيب والضرب على يديه هو ورجاله بدون سبب، وحين قص على مديره ما حدث نهره بشدة بعدما أملى عليه بنود القانون التي يحفظها عن ظهر قلب، وخاصة أنه لا يملك دليلاً واحدًا ضده، حتى رقم الهاتف وسجل الحساب الالكتروني الذي نشر الصور من خلاله كان حسابًا مُزيفًا، وحتى الهاتف وجدوه مع أحد المتسولين الذي أخبرهم أنه عثر عليه في منطقة نائية.
ورغم حزنها الشديد على أخيها إلا أنها أخبرته ما حدث مع جيلان ومساعدتها لها، لتجده يزعق بها:
-إنتي اتهبلتي يا عالية .. أنتِ مش عارفة آخرة الطريق دا إيه!
لم تفهم مقصده في البداية، وهي تحاول أن تُكذب حدسها ففي النهاية

كل ما فعلوه البارحة هي أشياء عادية وبسيطة وكلها ترجع لآيات اللّه فما الضرر منها؟!

ليشرح لها أخوها تفصيلًا عواقب ما حدث، مما جعلها تعود لرشدها، وتثق في ظنها لتفيق على صوت أخيها المضطرب قائلًا:

إوعي تساعديها أو تشجعيها على كدا، خليها تيجي تعمل محضر ونجيب الدكتور اللي عمل لها العملية ناخد أقواله ونخليه يكتبلنا تقرير طبي باللي الوس×× دا عمله فيها، وأنا هحاول أجيب لها حقها بالقانون، وتقول لمامتها تروح تلغي التوكيل حالًا الموضوع مش صعب..

وافقته على الفور، فهي تعلم الآن أن ما وقع مع جيلان نوعًا من أنواع السحر، وأن السيدة التي قابلتها ماهي إلا شيطانة تريد منها شيئًا ما، وفي المقابل ستقوم بمساعدتها بشكل لم يعرفوه بعد.

أنهت معه المحادثة حين خرجت جيلان من حمامها منتعشة وتشعر بالحماسة الشديدة، لتوقفها عالية:

-أنا كنت بكلم..

رفعت جيلان كفها أمام عالية:

-عارفه.. وعارفه كمان قالك إيه!

اتسعت حدقتا عالية وهي تنظر نحوها، بينما استمرت جيلان في فرك شعرها بالمنشفة وهي تقول لها:

-مش هعمله محضر لأنك عارفه كويس إن لو ماما عرفت هيجرالها

إيه، وأنا أمي عندي بالدنيا كلها، ولو كنت عاوزه كنت عملت من أول ما دخلت المستشفى، وبرده ما أقدرش أقولها تروح تلغي التوكيل، لأنها هتسالني ليه، ومش بعيد تزعل مني وتتهمني إن بكرهه من غير سبب.. دا أولًا...

توقفت وهي تخلع مِئزرها أمام عالية التي مازالت مشدوهةً وهي تنظر إليها وتستمع لها، لتريها جيلان جسدها العاري إلا من طقمها الداخلي التي تستر به عورتها:

-ثانيا شوفتي العلامات دي...

اقشعر جسد عالية وهي تنظر لعلامات غائرة في جسد الفتاة وآثر خربشات وكدمات متفرقة بألوان الطيف تتناثرت على بشرتها بأكملها، لتُكمل جيلان بقوة لم تعتدها:

-كل العلامات دي عشان هو يستمتع وكل علامة من دول هيدفع تمنها من روحه، وبرده أمي بره كل حاجة.

اقتربت منها تنظر لعُمق عينيها:

-وإنتي وعدتيني أنك هتبعديه عني من غير ما ماما تعرف حاجة، وللأسف ما قدرتيش توفي بنص وعدك، فرجاء أوفي بالنص التاني، واوعي تعرفي ماما حاجة، وأنا عن نفسي عرفت خلاص أنا هروح فين، وواثقة في الطريق اللي همشيه..

ثم تركتها تناطح مشاعرها المشوشة المتأرجحة من الخوف عليها

تارة، ومن وجوب تحذيرها من هذا الطريق تارة، ومن فهمها وفهم غضبها الكبير ورغبتها هي الأخرى في الانتقام من هذا النجس تارة أخرى.

استمرت في حيرتها حتى ارتدت جيلان كامل ملابسها لتُقرر أن تخوض مع الفتاة التجربة علها تستطيع إنقاذها في الوقت المناسب، أو على الاقل تُصبح هي الضمير الحي والعقل المُتكلم حين تسوء الأمور وتخرج عن السيطرة..

ارتدت ملابسها هي الأخرى لتسبقها جيلان للخارج بمرح كبير وهي تحضن أمها بحب، تتبعها بخالتها وجدتها، وحتى جدها، بينما ينظر لها الجميع بذهول مختلط بسعادة كبيرة.

بعد كثير من الاحتفاء بها وبعودة هيئتها الصحية ومرحها الغالي وجسدها المُجهد وحتى وجهها السقيم كل هذه الأشياء قد أصبحت من الماضي لتقوم راضية باحتضان عالية وشكرها على أنها رفعت من روحها المعنوية وجعلتها بهذا الإشراق والتألق.

استأذنت جيلان من والدتها كي ترحل مع عالية في نزهة قد وعدتها بها حين تُشفى، وافقت راضية على الفور وطلبت منها أن تأخذ سيلين معها، ولكنها تحججت بالرفض وانطلقتا للعنوان المُدون معها.

كان المكان في طرف المدينة التي يسكنون بها، ومهجور نسبيًا إلا من بضع من المنازل ذات الدور الواحد المتراصة حول المنزل المذكور في

الورقة!

شعرت عالية بانقباض في قلبها، بينما تشعر جيلان الآن بفضول كبير وحماس أكبر، فبعد بضع خطوات ستأخذ بثأرها وستختار أبشع الطرق.

هكذا حدثت نفسها أو بالأحرى أنبأتها السيدة التي تحدثت معها داخل المرحاض في الصباح!

أوقفهما رنين هاتف جيلان التي أخرجته من حقيبتها لتجدها أمها، أجابتها بابتسامة وكأنها تعرف ما الذي تريد إخبارها به..

على الجانب الآخر كانت تصيح راضية بسعادة، بينما خالاتها أجمعهم يصفقون بمرح:

-الدكتور لسه مكلمني حالًا يا جيجي، وقالي إن نتيجة التحاليل فعلًا كانت غلط، الأورام حميدة واعتذر لي جدًا على الخطأ اللي حصل، وقالي إنها أول مرة تحصل، وإنه هيعرض المعمل للمُساءلة القانونية..

رفعت جيلان رأسها نحو المنزل المذكور، وهي تضحك مع أمها وتُتمتم بالحمد.

وقفت عالية أمامها تنتظرها أن تنهي المحادثة حتى يصعدا، أغلقت جيلان الهاتف بعدما وعدت أمها أنها لن تتأخر ونظرت لعالية بسعادة:

-النتيجة طلعت غلط ومطلعش عندي كانسر فعلًا!

رغم فرحتها التي بانت على وجهها ومباركتها واحتضانها لها، إلا أنها

شعرت بخطر أكبر، فهم لا يجذلون العطايا هكذا بدون مُقابل...
ترددت جملة قد حفظتها على أذنها:
"هما ما بيعملوش حاجة لله يا عالية! خدي بالك كل حاجة هتاخديها منهم هتدفعي تمنها غالي"
قاومت رغبتها في التحدث مع أخيها الذي تعرف رأيه جيدًا، وأنه لن يكتفي بالغضب منها ومقاطعتها، بل سيأتي ويهدم المعبد على رأسهم جميعًا..
صعدت الاثنتان للشقة المقابلة للسُلم كما هو موصوف، دققا النظر في الباب الخشبي المُزخرف بحروف عربية متفرقة، تقدمت جيلان لتطرق الباب، فأوقفتها عالية وهي تُمسك ذراعها قائلة بصوت خافت:
-أنتِ عارفة إيه اللي مكتوب على الباب دا؟!
ضمت جيلان حاجبيها بتمعُن:
-أنتِ عارفة!
ابتلعت عالية ريقها بصعوبة وهي تُخبرها:
-للأسف عارفة!
رفعت جيلان حاجبيها بدهشة، ثم ابتسمت وهي تقترب منها بهمس:
-أنا كمان عارفة!
شعرت عالية ببرودة تسري في جسدها، بشعور قاتل تعرفه جيدًا بل

تحفظه عن ظهر قلب، المكان كله محفوف بالشياطين من الجن!

هزت رأسها باعتراض، فأمسكت جيلان بيدها، حين انفتح باب الشقة ليجدا السيدة شديدة الجمال والرشاقة تقف أمامهما بابتسامتها الساحرة، وكأن الزمن لم يمر عليها منذ أن كانت في عز صباها.

التفتت جيلان لعالية، وهي تقول لها بفرحة:

-هي دي طنط اللي قبلتني امبارح!

بابتسامة مرتعشة مدت عالية يدها نحو السيدة التي سلمت عليها بحذر، وهي تقول بمشاكسة:

-بلاش طنط دي مع إني عديت الخمسين، بس لسه بتضايقني، إسمي لولا الدلع، والحقيقي ليلي، اتفضلوا شرفتوني..

اندهشت جيلان من الرقم الذي نطقته الآن.. بينما عرفت عالية سبب شبابها من الكلمات المحفورة على بابها الخارجي.

دخلت جيلان تنظر للمنزل الواسع المُجهز بطراز حديث للغاية يُشبه القصور، بينما خطوات عالية مترددة وعيناها تتجولان على الحوائط المنقوشة بكلمات تعرفها جيدًا..

تمتمت بقلق بالغ:

-المكان دا مش آمان!

توقفت ليلي عن الحديث مع جيلان وهي تخطو ناحية عالية، ثم أخذت من أعلى المنضدة الطويلة الجانبية بلورة صغيرة دائرية وأمسكتها

بيدها ليتغير ضوء البلورة من الأحمر للأزرق للأبيض كلما اقتربت من عالية حتى وقفت أمامها قائلة:

-بالعكس يا مدام عالية دا أءمن مكان ممكن تكوني فيه دلوقتي، لأنك لو ما تعرفيش هقولك إن سيد بيه دلوقتي بيخبط على باب بيتك عشان يتهجم عليكِ، ويهددك تاني بس المرة دي كان ناوي يصورك أنتِ كمان..

شهقت جيلان بفزع وهي تقترب منها:

-هو هددك قبل كدا!

ظلت تنظر لعين ليلي التي غمزت لها بيقين أنها بالفعل لا تصدقها فرفعت البلورة أمامها لتريها انعكاس سيد، وهو يقف أمام بابها ينظر حوله بريبة وهو يرن الجرس.

أخذت جيلان البلورة من يد ليلي لتعود كما كانت للونها الأصلي الأحمر!

نظرت لهما وهما يُباريان بعضهما بالنظرات، وهي لا تفهم الحرب المشتعلة بينهما، فوقفت في المنتصف تنظر لكليهما وهي توجه حديثها ليلي:

-ممكن تقوليلي أخد حقي من القذر دا ازاي، قبل ما يأذي حد تاني بسببي..

أجابتها عالية بزعقة:

-هو مأذنيش يا جيلان ولا يقدر، ومش كل اللي هتشوفيه هنا حقيقي...
ابتسمت ليلي بمكر قائلة:
-لو حابة تسمعي كلام صحبتك يبقى وجودك هنا مالوش لازمة.
نفت جيلان الأمر وهي ترفع كلتا كفيها بتعلق:
-لاء لاء أومال انا جاية ليه، أنا هاسمع كلامك أنتِ، المهم أنتقم من الكلب دا.
أمسكت كفها لتجرها خلفها، وهي تغمز لعالية التي وقفت تصك أسنانها بغيظ، وكأنها مُقيدة لا تستطيع التصرف ولا الفكاك ولا حتى الهرب من هذا المكان الشيطاني.
جلست على مقعد في المنتصف، بعدما حملت صندوقًا خشبيًّا جاءت به من أسفل المنضدة لتُخرج ما فيه ببطء وهي ترمق عالية بتحد واضح؛ بينما تنتبه جيلان بحواسها أجمع، وهي تنظر لكل الأغراض التي وضعتها مرصوصة بشكل دائري على المنضدة المستديرة أمامهم لتُخرج آخر غرض وهو جُمجمة بشرية لتضعها في المنتصف.
وقفت عالية بغضب شديد وهي تقول:
-لاء يا جيلان! أنا مش هشترك في الكفر دا ولا أنتِ كمان.
تساءلت جيلان بجهل:
-كُفر إيه يا طنط! هي لسه قالت حاجة!
أمسكت عالية بكلتا يديها، وبلطف تام أخبرتها:

-أنا عارفة اللي هي هتعمله يا حبيبتي، صدقيني دا كُفر، وتمنه غالي، ومش هتقدري تدفعيه، ولو مشيتِ في السكة دي هتخسري نفسك وكل اللي حواليكِ.

شعرت جيلان بالحيرة للحظات لتتوالى مشاهدها المُقززة معه أمام عينيها، فاقشعرَّ جسدها، وسحبت يدها من يد عالية وهي تقاوم دموع عينيها بحرقة:

-مدام هعذبه بالطريقة دي زي ما عذبني وأكتر؛ أنا موافقة عليها مهما كان التمن..

لم تتدخل ليلي في الحديث؛ لأنها تعلم جيدًا دواخل الشخص الذي اختارته، فهي تسعى للانتقام بكل ما أوتيت من قوة ولن يردعها أحد ولا عالية ولا أخوها..

تهللت ملامحها وهي تُمسك بالجمجمة البشرية تلتمسها برفق وهي تُلقي عليها بعض الكلمات، لتجلس جيلان بعزيمة لا تنضب وهي تقول لليلي:

-اللي تؤمري بيه أنا هعمله مهما كان، المهم أشوفه بيتمنى الموت قدامي ومش عارف يطوله..

اقتربت ليلي من وجهها وهي تنظر لعُمق عينيها قائلة:

-عُلم ويُنفذ!

ثم رمقت عالية التي مازالت على وقفتها في حيرة شديدة بين أن تترك

الفتاة تفعل ما تريده وتختفي من المشهد، وبين أن تظل معها علها تعرف طريقًا لإنقاذها فيما بعد.

اختارت الطريق الذي اختارته من قبل، وجلست تتفحص بتركيز تام ما ستفعله ليلي، أو بالأحرى ما الذي ستأمر به جيلان لتفعله هي بنفسها، فغرضها الأول والرئيسي ليس مساعدتها قط!

*****

بعد يومين جهزت بهما كل ما يلزم، وفعلت بهما كل ما أمرته به ليلي بمفردها، فقد حان وقت العودة قبل أن ينتهي الأسبوع، ورغم كلمات عالية التي كانت تطن في أذنها طوال وقت التجهيزات؛ إلا انها تجاهلت جميعها وانطلقت لوالدتها في الخارج تطلب منها أن يعودا للمنزل، بعدما رفضت من يومين العودة حين طلبت منها راضية.

تعجبت وهي تنظر نحوها بحزن قائلة:

-ما انا قولتلك من يومين قولتلي لاء مش هرجع دلوقتي وبقالك يومين قافله على نفسك بعد ما قولت ان خلاص ربنا شفاكِ وبقيتي زي الفل.

جلست جيلان بينها وبين جدتها تُقبل يدهم وهي تعتذر:

-أنا آسفة والله يا ماما! بس كنت محتاجة وقت ارتب فيه أولوياتي، واراجع نفسي، وافهم الدرس اللي حصلي كويس عشان ارجع أقوى، ومركزة أكتر على أهدافي، وأحقق كل اللي نفسي فيه، واوعدك يا ست الكل ما فيش حبسه تاني ولا هسيبك لحظه.

احتضنتها راضية وهي تدعوا الله أن يحفظها وقامت لتتجهز للعودة لزوجها الحبيب، وهي تأمل أن تعود حياتها السعيدة كما كانت قبل أن تصاب ابنتها بالمرض.

عادا لبيتهما وقبل أن يدلفا لشقتهما مرا على عالية التي استقبلتهما بالأحضان والتقبيل، فرغم كل شيء هما في مقام عائلتها، عاتبتهما بحزن:

-طب مش كنتوا عرفتوني عشان أعملكم أكل، والكيكة بتاعتي اللي أكيد وحشتكم.

ابتسمت راضية وهي تقول لها:

-وحشتنا جدًا والله، بس احنا حتى معرفناش سيد، ولا أنا كنت اعرف، جيلان هي اللي قالتلي دلوقتي يلا نروح فجأة كدا، مع اني بتحايل عليها بقالي كام يوم من ساعة ما اطمنا عليها بس أنت عارفه جيجي بقى.

نظرت عالية نحو جيلان نظرة ذات مغزي وهي تقول لها:

-اه طبعا عرفاها لما بتقرر حاجة، ما حدش بيخليها ترجع في قرارها حتى لو كان غلط.

اقتربت منها جيلان تُقبل وجنتها قائلة:

-مبيبقاش غلط قوي يعني، دا إذا كنتي بتحسبي رجوعنا غلط!

لم تُعقب على حديثها عندما شعرت أن راضية تنظر لها بعدم فهم،

ولكن بشعور مضطرب.
دلفا لشقتهما لتقف جيلان بضع لحظات بجسد مُقشعر وآلام متفرقة، تحركت وهي تحاول الاندماج حين نادتها أمها لتتبعها بالحقائب.
وقفت على بضع خطوات من غرفة والدتها، لا تجرؤ على المرور من أمامها حتى، وكأن أحدهم يطعنها بطعنات متفرقة، ركضت على غرفتها وهي تقول لوالدتها:
-انا في اوضتي ياماما بفضى الشنطة!
جلست على الفراش تلتقط بضع أنفاس لاهثة، ففي النهاية التخطيط للجريمة شيء، والتنفيذ شيء آخر، أكثر رعب وحذر.
قامت بتفريغ حقيبتها لتخرج الصندوق الخشبي الصغير من جيب داخلي في الحقيبة، انحنت على الأرض لتضعه أسفل فراشها، ولكن قبل أن تدفعه للداخل قليلًا أخذت الورقة المُهترئة الأولى المكتوب بها بضع كلمات معكوسة لا تفهمها ولا تعرف أنها آيات قرآنية!
خبَّأت الورقة في جيب بنطالها حين سمعت مفاتيحه تُصدر صوتها الذي تكرهه بشدة؛ لدرجة شعورها بألم شديد في معدتها من مجرد صوت ضجيج بسيط لعدة مفاتيح.
استقبلته والدتها بالحب كالمعتاد؛ بينما فعل هو جلبة بسعادته المُزيفة بعودتهما أو بالأحرى ليست مزيفة فهو يفرح دائمًا لعودتها هي كي يفعل بها ما يشاء.

شجعت نفسها ببضع كلمات فهي الآن تسيير على خطى الانتقام بثبات، ولن تتراجع قيد أنملة، لقد دفنت عاطفتها ومشاعرها مع الجمجمة المسحورة.

أطلقت نفسًا شديدًا مملوءًا بالبُغض والكراهية، ورسمت ابتسامتها الساحرة البريئة، وهي تتقدم لفتح باب غرفتها، استمتعت برؤية نظراته الشهوانية لأول مرة منذ سنة، فمن قبل كانت نظراته تقتلها رعبًا، وتنحر رقبتها ببطءٍ، وهي تتمنى أن تموت أو تبتلعها الأرض في هذه اللحظة.

أدام سيد النظر إليها بتفحص شديد وانبهار أشد، لقد عادت شاتَهُ التي يتلذذ بها كما يحلو له دون تعقيب أو حتى اعتراض، فهي تعرف ما ستواجه إن فعلت.

اقتربت منه تصافحه، فجرها لأحضانه وهو يتصنع القلق بدمعتين زائفتين، بينما هي تكاد تتقيأ عليه من رائحته المُقززة التي ملأت رئتيها حتى كادت تختنق.

دفعته بلطف وهي تسعل بضيق شديد، ولكنها لم ترد إظهار ذلك حتى لا تشعر أمها بشيء، رددت بصوتها الهادئ وهي ما زلت تسعل:

-الله يسلمك يا بابا سيد!

ثم أخذت كيس البقالة الذي جاءت به من الخارج من أعلى المنضدة وهي تقول له:

-احنا حبينا نعملهالك مفاجأة، وعشان عارفه أنك مش هتعمل حسابك على الأكل والعصير اللي ماما وأنت بتحبوه، جيبته معايا وأنا جاية..

ضيق عينيه بتعجب، وهو يُدقق النظر بها لا يصدق ما تفعله، فمؤكد الجارة اللعينة وأخوها نصحاها أن تستدرجني حتى تصورني بدليل مادي،

ابتسم بخُبث وهو يردد في عقله:

"أكيد اخوها دا سباك مش ظابط شرطة لأنه ما يعرفش انها حتى لو سجلتلي هطعن في التسجيل، لأنه مش بإذن نيابة"

امحى ابتسامته على الفور وهو ينتبه لما يُفكر به:

"معقول خدت إذن نيابة.. لاء يا سيد اهدى كدا وما تخافش، عموما أنا مش هقرب لها لحد ما اتأكد"

أفاق من شروده على يد زوجته، وهي تخلع عنه معطفه قائلة:

-تعالي يا سيد! أنت لسه واقف ليه، غيَّر هدومك على ما جيلان تحضر لنا الأكل..

سمعتهما جيلان من الحمام، وجسدها يرتعد، وهي تأخذ بضع قطرات من دماء حيضها لتُغرق بها الورقة المهترئة التي ستضعها في طعامه وشرابه، وكما أخبرتها ليلي أنها ستذوب ولن يظهر لها أثر..

طبقت الورقة الممتلئة بالدماء، ووضعتها في كيس بلاستيكِي صغير

وتوجهت ناحية المطبخ لتقسم الورقة نصفين كما هو مُحدد لها بالقلم الأحمر..

نصف وضعته في كوب العصير وفرغت به العبوة حتى انتهت ثم قلبته بهدوء إلى أن اختفت الورقة تمامًا بما تحمله من وباء! والنصف الأخر خبأته حتى أتى عامل التوصيل لتفتح له باب المنزل، حاسبته ببضع أوراق نقدية، وأخذت الطعام للمطبخ فوجدت والدتها تُمسك بأكواب العصير لتُخرجها على طاولة الطعام وهي تقول لها:

-أنتِ مالك حاطة العصير في كاسات مختلفة ليه كدا يا جيجي ما عندنا مليون طقم زي بعضه.

ارتعدت جيلان بخوف، ثم حاولت الابتسامة في وجه أمها، وهي تضع الطعام على منضدة المطبخ وتأخذ منها الكاسات سريعًا قائلة:

-اللي لقيتهم قدامي يا ماما.. وبعدين لو سمحتِ روحي اقعدي مع بابا سيد، وأنا هعمل كل حاجة.

قّبلت راضية وجنة ابنتها بحب وسعادة:

-ربنا يخليكِ ليا يا حبيبة ماما!

ثم خرجت من المطبخ لتتنفس جيلان الصعداء، لقد ارتعبت أن ترتشف أمها من الكأس المسحور، فوضعته على طرف بمفرده وأخرجت إناءً غويطًا خاصًّا بالحساء، وضعت به نصف الورقة الآخر وفوقه وضعت الحساء الساخن وقلبته ببطء حتى اختفى الآثر، وضعت إناء الحساء

الذي يعشقه هو وكوب العصير الخاص به على جنب بمفردهما، وأكملت تفريغ الأواني الورقية في باقي الأطباق الزجاجية، ثم حملت ما يخصها هي ووالدتها أولًا لتضعهم أمام موضعهم على الطاولة، وعادت تأتي بطعامه هو ووضعته ايضًا موضع جلوسه ثم نادت عليهما بمرح..

جلسوا ثلاثتهم على طاولة الطعام؛ كلّ بمشاعر مختلفة؛ فالأم تشعر بالسعادة لعودة ابنتها الغالية، والابنة تشعر بالترقب والانتظار بفارغ الصبر كي تحصد انتقامها اللذيذ، متجاهلة جسدها المُرتعش وضميرها الذي لم يمت كله بعد، بينما يجلس المُعتدي بتركيز لرصد ما يحدث مع الفتاة، واحتمال أنها أحبت ما يفعله بها وتحولت لشخص شاذ مثله احتمالاً يداعبه ويقع في قلبه.

أنهت طعامها بابتسامة فرح وقلب يتراقص، حين وجدت وعاء الحساء فارغًا، وأنهى طعامه هو الآخر بعصيره المُفضل، لقد أخبرتها ليلى أنها لو أردت أن ترديه قتيلًا في مدة تمتد لسنوات يكفي عليه مرة واحدة، ولكنها لم تقتنع بهذا الحديث ولم يوافق ذائقتها فسألت عن طريقة أسرع قليلًا وأشد عذابًا؛ فكانت الإجابة لسبع ليال متتالية سيظل سنة واحدة، ولن ينقذه أحد مهما كانت قوته..

بدأت تشعر بالسعادة الكبيرة حين بدأ تعبه يزداد من اليوم الثالث وهي تكرر فعلتها بهمة وإصرار لم تشعر بهما من قبل، فلذة الانتقام

لا تضاهيها لذة، كلما زاد عدد الأيام؛ انغمست هي في الشرور حتى أنفها، حتى بدأت مشاعرها الانسانية تتلاشى رويدًا إلى أن اختفت في اليوم الخامس.

أصبحت رؤيته يتلوى من الوجع تُشعرها بالانتشاء والراحة العميقة التي كانت ترجوها منذ شهور، لذة الثأر جعلتها تُكمل السبعة أيام، حتى أنها كانت تضع سحرها في الماء الذي كان يتجرعه لبلع الدواء المُسكن، أو حتى العلاج الذي يصفه الأطباء في احتمالات واهية لمعرفة ما يعانيه هذه الرجل دون رحمة أو تراجع.

رن هاتفها فتركت والدتها التي تجلس بجواره بقلة حيلة، وقد امتلأ البيت بالأطباء المتناوبين دخولًا وخروجًا لتجد عالية تهاتفها.

رفضت المحادثة وذهبت لباب شقتها تطرق عليه، فتحت لها عالية على الفور لتستقبلها جيلان بابتسامتها المرحة وكأنها لا تبالي بشيء على الإطلاق.

وجه عالية كان يُفسر بالحزن لأجلها؛ بينما ملامحها تئن من الوجع على صوت جارهم الذي يأتيهم باستمرار وهي الوحيدة التي تعرف السر!

دلفت جيلان للداخل وهي تقول لها:

-أنا قولت بدل ما نتكلم في التليفون أجيلك أحسن، واهو منها أخلص من صوته المزعج..

وجدت جيلان أخو عالية الذي تراه للمرة الأولى يجلس على المقعد المواجه لباب الشقة الذي دلفت منه للتو. لا تعلم من أين لها أن تعرف أنه أخوها الذي طالما تحدثت عنه، ولكن شعورها لم يخدعها حين قدمته لها عالية...

*****

"فبراير - ٢٠٢١"

في الساعات الأولى لصباح اليوم التالي، وقفت سوسن تصرخ بكل ما أوتيت من قوة تتبعها بعض النساء في الحجز وهم يطرقون باب الزنزانة الحديدي بهستيريا مُصدرين جلبة وهم يهتفون:

-الحقونا.. الحقونا!

ركض العساكر المخولين بحراسة الزنزانة ليروا ما الذي حدث مع هؤلاء النسوة..

تحدث أحد الحرس بصوته الجهوري:

-في إيه يا ست منك لها!

وقفت سوسن تستجير بهم:

-الحقونا من المسجونة اللي انتوا لسه جايبينها يا باشا!

بنفاد صبر سألها:

-مالها يا سوسن.. لو كنتوا عملتوا فيها حاجة حضرت الظابط مُنصف هيعلقكم!

لطمت سوسن خديها بينما كل من في الزنزانة من النساء مازال يولول لتخبره بفزع باد على وجهها:

-مجنونة يا باشا! عماله تكلم ناس مش موجودة، وقامت اتهجمت على البت ريا، وكانت هتموتها، ولما شيلناها من ايدها قعدت تصوت لحد ما أغمى عليها.

أخرج الرجل جهازه اللاسلكي من جيبه، وهو ينادي على الضابط المتناوب في القسم هذه الساعة ليقص عليه ما حدث.

على الفور أمره "مروان" أن يدخل كي يرى وضعها أولًا ويخبره ليحاكي طبيب المشفى الحكومي القريب منهم، طلب منهم العسكري التنحي عن الباب وترك الفتاة كما هي، دخل ليراها، فوجدها تفترش الأرض مغشيًا عليها، ملابسها مُمزقة قليلًا وشعرها مشعث، فنظر نحو الجميع بتهديد واضح ثم رمق سوسن:

-أنتِ عارفة يا بت يا سوسن لو كنتي عملتي فيها حاجة أنا هاجي اطل×××

أوقفته سوسن بحزن شديد وهي تبكي بحرقة:

-والله يا باشا ما حصل ولا جيت جنبها حتى أسال كل اللي هنا!

صدّق الجميع على كلامها، فأخبر العسكري الضابط على وضعها، وعلى الفور حّدث طبيب المشفى ليأتي لمعاينتها وشرح له الحالة كما أخبروه.

خرج العساكر من الزنزانة، مع تحذير من فيها بعدم الاقتراب من الفتاة حتى يأتي الطبيب.

ظلت هكذا على حالها حتى أتى الطبيب ومعه اثنان من الممرضات، طلب بإخراجها من الزنزانة، فحملها اثنان من العساكر متوجهين لغرفة الضابط الخاصة كما أمرهما، وضعاها على الأريكة، وبدأ الفحص المبدئي والمعتاد ليذم شفتيه وهو يقف قائلًا لمروان:

-للأسف ضغطها واطي جدًا، ونبضات قلبها مش منتظمة، لازم تيجي المستشفى وتركب محاليل وتاخد شوية حقن، شكلها اتعرضت لصدمة قوية.

وافق مروان وجعل الطبيب يمضي على تقرير الحالة، وانطلق في عربته الخاصة مع الطبيب، واثنان من العساكر أحدهما يعلق الأصفاد معها.

وصل للمشفى ووضعوها في غرفة الاستقبال الخارجية معلقين أصفادها في السرير الحديدي، وبعدما سلمها الضابط للطبيب وضع العساكر أمام باب غرفتها مع تحذير بألا يدخل غرفتها سوى الطبيب المعالج والممرضة، ثم عاد للقسم وتركها في أمانة الطبيب.

على الفور فاقت من إغمائها المُصطنع حتى تخرج من القسم وهي تعرف جيدًا أنه سيأتي إليها، يجب أن تتحدث معه خارج القسم..

أراحت رأسها على جانبها لترى قطتها السوداء في الخارج أو تحديدًا جنيتها الملاصقة لها، ابتسمت لها لتبادلها الأخرى الابتسامة، رغم ثِقل ما حدث معها على قلبها وثِقل وجود هذه الكائنات حولها؛ إلا انها شعرت ببعض الندم من دخولها هذا الطريق، ولكنها على الفور

تذكرت يوم الحادثة..

*****

دخلت غرفته فهي المناوبة له هذه الليلة، وقد قررت أنها ستكون آخر ليلة له، بعدما اتفقت مع أخي عالية أنه سيأتيه في الغد ويجعله يعترف بفعلته ثم ينقذه من السحر.

هي لا تريد إنقاذه، ولو تدخل الرجل سيتأذى، وقد دق قلبها لأول مرة من أجله..

جلست أمام زوج أمها تستمع بمتعة لصوت صرخاته المتكررة من الألم، ثم خطت نحوه ببطء هامسة له:

-تحب أخلصك من الألم دا؟!

تعلقت عيناه الغائرة بها وهو يترجها ككل ليلة منذ سنة كاملة أن تُخلصه، وسيفعل لها ما تطلبه، وكل ليلة تبيت معه فيها تُعيد عليه نفس السؤال ثم تتركه وهي تقول له:

-لاء مش هخلصك!

لكن هذه الليلة مختلفة فقد أجابته إجابة أخرى:

-هتعمل كل اللي هطلبه منك!

بصرخات ألم أجابها:

-أي حاجه بس ابوس ايدك خلي الألم دا يقف شويه صغيرين حتى..

فتحت درجه الملاصق له لتُخرج من أسفله سلاحه الأبيض الذي كان

يهددها به، أمسكته بمنديل ورقي، ثم وقفت تردد بعض الكلمات التي جعلت يداه اليُمنى تتحرك، توقف عن العويل بذهول وهو لا يُصدق أن يداه المشلولة تتحرك...

ناولته سلاحه ليأخذه مندهشًا، وهو يسألها بوهن شديد:

-أعمل بيه إيه؟

أخرجت قداحة من جيبها الخلفي وأشعلت النار لتحرق بها المنديل وتنثره من النافذة، ثم خطت بعيدًا للخلف تجلس على الأريكة وهي تقول له:

-هتخرج بيه السحر من بطنك وساعتها هتقوم زي الفل..

بالطبع لم يُصدقها، وقبل أن يترك السلاح من يده؛ وجد القطة السوداء الكبيرة تجلس على صدره تحدق به، فأصابه رعب شديد جعله يتبول على الفراش وهو يبكي بحرقة ويرجوها أن ترحمه..

أسندت رأسها على ذراعيها وهي تقول له:

-ما أنا كنت بترجاك ترحمني وتسيبني، سنة كاملة اترجيتك فيها، بس أنت وريتني الموت ومخلتنيش اطوله.. أنا بقى عندي رحمة عنك وهخليك تطوله..

تمنى في هذه اللحظة أن يتوقف قلبه من شعوره بالرعب، ولكنه لم يتوقف، بينما ظلت القطة ترمقه بعينيها اللتين تتسعان بألوان عدة، وهي تغرز أظافرها في صدره وتموء في أذنيه..

استمر في البكاء والعويل نصف ساعة، حتى وجد أنه لا مفر والموت لم يأت بعد، فقرر أن يذهب هو إليه عله يجد قليلاً من الراحة..

عندما وجدته يحاول أن يصل لبطنه أمرت القطة أن تذهب لوالدتها حتى لا تأتي قبل أن ينتهي، مد يده نحو بداية معدته وهو يبكي بندم شديد عما فعله من آثام ليغرز السلاح بأعلى بطنه وكأنه لا يملك إرادة التراجع، ظل ينزل بالسلاح لأسفل حتى شق بطنه بأكملها وبعد عدة دقائق مرت بصراخه العالي ارتفعت روحه لبارئها...

تنهدت جيلان براحة... واستدارت لتنام بعمق حتى أتت أمها وحدث ما حدث..

*****

بعد بضعة ساعات جاء مُنصف ليستلم ورديته فأخبره مروان بما حدث، وأنه سيكتب هذا التقرير ليرفقه بالمحضر الرسمي قبل أن تنتقل القضية للنيابة، وقد أخبره الطبيب أن وضعها الصحي يُلزمها أن تظل بالمشفى بضعة أيام، وبشهادة السيدات في الزنزانة فإنه من الواضح أن الفتاة تُعاني اضطرابًا نفسيًّا وعقليًّا، ولو ثبت أنها فعلت هذه الجريمة ستحولها النيابة لقسم ٨ غرب ليفحصوا حالتها العقلية..

وفي خلال هذه الأيام التي ستظل بها في المشفى سيصل تقرير الطبيب الشرعي الذي يعرفه مُنصف جيدًا من جدته، فقد رن هاتفه الأرضي

في ميعاده ليجدها تُخبره:

" صدقها يا مُنصف هو اللي قتل نفسه، بس متصدقهاش هي اللي قتلته"

زفر منصف بضيق، وترك لمروان القسم، وذهب على عجل نحو المشفى، وجد العساكر يقفون على باب الغرفة، قاموا بأداء التحية العسكرية له، وتنحوا جانبًا لكي يدلف مُنصف للداخل..

وجدها مُمددة على الفراش في سبات عميق ليستند بظهره على المقعد الخشبي، وهو يتذكر الشاب الذي مات بنفس الحادثة "السحر الملعون"!

طالع النافذة المفتوح جزء صغير منها ليضيق عينه مُكذبًا ما يراه، القطة السوداء تقف على النافذة المقابلة له تحدق به، اعتدل في مجلسه بحنق ليأتيه صوتها:

-إنت خايف منها ولا إيه!

التفت نحوها بضيق قائلًا:

-أنتِ عارفة كويس قوي إني ما بخافش!

ابتسمت باستهزاء:

-بتخاف تاخد حقك، واللي ما بيعرفش ياخد حقه يبقى ضعيف، ثم رفعت حاجبًا واحدًا وهي تعريه أمام نفسه:

-واللي بيخبي مشاعره برده بيبقى جبان..

أنهت جملتها بغمزة فنظر لعمق عينيها بمشاعر مُختلطة منذ أن عرفها وهو يتجاهلها:

-أنا باخد حقي بس بالقانون مش بالسحر! ومشاعري دي تخصني أخبيها أو مخبيهاش ما لهاش دعوة بالجُبن!..

أطلقت ضحكة عالية وهي تعتدل في مجلسها لتتحول ملامحها للجدية:

-وهل عرفت تاخد حقك أنت منه لما نفاك في البحر الأحمر بمكالمة تليفون، وأخَّر ترقيتك عشان بس واجهته أنك عرفت اللي بيعمله معايا..

لتُكمل بحرقة:

عرفت تجيبلي حقي وتضمنلي أنه ما يقربليش تاني، طب جبت حق أمي اللي لولا ليلى مكنتش هعرف أرجعه؛ كان زمانه سرقه كله ورمانا في الشارع؟؟!!

قاطعها بزعقة:

-قولتلك أعمليله محضر وأنا هساعدك، وابعدي عن الست الشيطانة دي خالص.. وبعدين قوليلي دفعت كام لحد دلوقتي ولسه هتدفعي إيه طول ما أنتِ في السكة دي..

ضمت حاجباها، وأثار الغضب بداخلها وهي تُكمل صراخها:

-وأمي تموت لما تعرف أن القذر دا ضيع مستقبلي، وياريتنا كنا هنعرف نسجنه يوم حتى، تقدر تقولي يا حضرة الظابط كان معاك

أدلة غير تقرير الدكتور وشهادته اللي ببساطة هيطعن فيها ويقولك مش أنا دا حتى لو أخدوا بالتقرير! ممكن أعرف دلوقتي حالًا كنت ناوي تسجنه ازاي وامتى؟! بعد ما يبيع أملاكنا كلها باسمه.. دا لو فرضنا أنك هتلاقي طريقة تسجنه بيها أصلًا، التمن اللي بتسألني عنه ما يسواش حاجة قصاد الراحة اللي أنا حاسه بيها دلوقتي بعد ما غار في داهية..

اقترب منها وقلبه يشتعل بالنار لينحني وهو يهدر بها:

-وإيه اللي حصل بعدها يا جيلان! قولتلك كفاية عليها وسبيه وأنا هعالجه، وقبلها هخليه يعترف باللي عمله معاكي وبرده كنا هنسجنه.. قتلتيه لييه؟!

تنهدت براحة ولاحت على وجهها ابتسامة مُتسلية:

-هو اللي قتل نفسه على فكرة أنا ما لمستوش؟

ردد اسمها بعصبية لم يعتدها:

-جيلان..

نظرت لعينيه بتحد واضح:

-لو تقدر تثبت إني قتلته.. ربنا معاك!

اهتزت حدقتيه بحزن؛ فهو بالفعل لن يستطيع أن يثبت أنها الفاعلة، فهذه الجرائم لا يتم فيها القبض على الجاني لأنه ببساطة غير مرئي! شرد قليلًا وهو ينظر لملامحها البريئة الغاضبة وهو يتذكر أول مرة

رآها بها، بالفعل هي أول فتاة يُفتن بجمالها البسيط من أول لقاء لهما، ولولا هذا القذر كانت ستظل ببراءتها ورقتها وعفويتها.

لقد توالت لقاءاتهما عند أخته عالية السنة بأكملها وهو يحاول ردعها عما تفعله، ولكنه علم من جدته أن الأوان قد فات! فهي بالفعل أكملت السبعة أيام تسقيه النجاسة حتى اختلطت بدمائه، كان يتمنى أن يُنقذها من انتقامها، والأهم كان يحلُم أن ينقذها من نفسها..

تعلقت عيناها به وهي تتمنى أن يكون لهما نصيبًا معاً في يومًا ما:

-أنا خلاص انتقمت منه ومستعده أرجع من الطريق دا لو دا هيرضيك..

تعالت دقات قلبه الغادرة، وهو يتمنى حقًا أن يغفر لها..

هز رأسه نفيًا وهو يزفر بضيق:

-اللي بيمشي في الطريق دا ما بيعرفش يسيبه، أنتِ خلاص بعتي روحك للشيطان..

أمسكت كفه البارد بيدها المتحررة وهي تستجديه:

-طب وقلبي.. أنا ما بعتش قلبي إلا ليك!

اعتدل واقفًا وهو يحاول الهروب من مشاعره الهائجة:

-بقالي سنة بحذرك من الطريق دا يا جيلان، وأنتِ أصريتِ تمشي فيه..

أدار ظهره لها، وهو يخطو نحو باب الغرفة قائلًا:

-افتكري إنك أنِتي اللي اخترتيه...

علا صوتها ليصله قبل أن يُغلق باب الغرفة خلفه:

-وانت هتفضل مصمم إنه كان عندي خيار تاني يا مُنصف؟!

*****

تمت بحمد الله...



للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

زوروا موقعنا الإلكتروني

www.ibda3eg.com

info@ibda3eg.com

publishing@ibda3eg.com

dreidibrahim@gmail.com